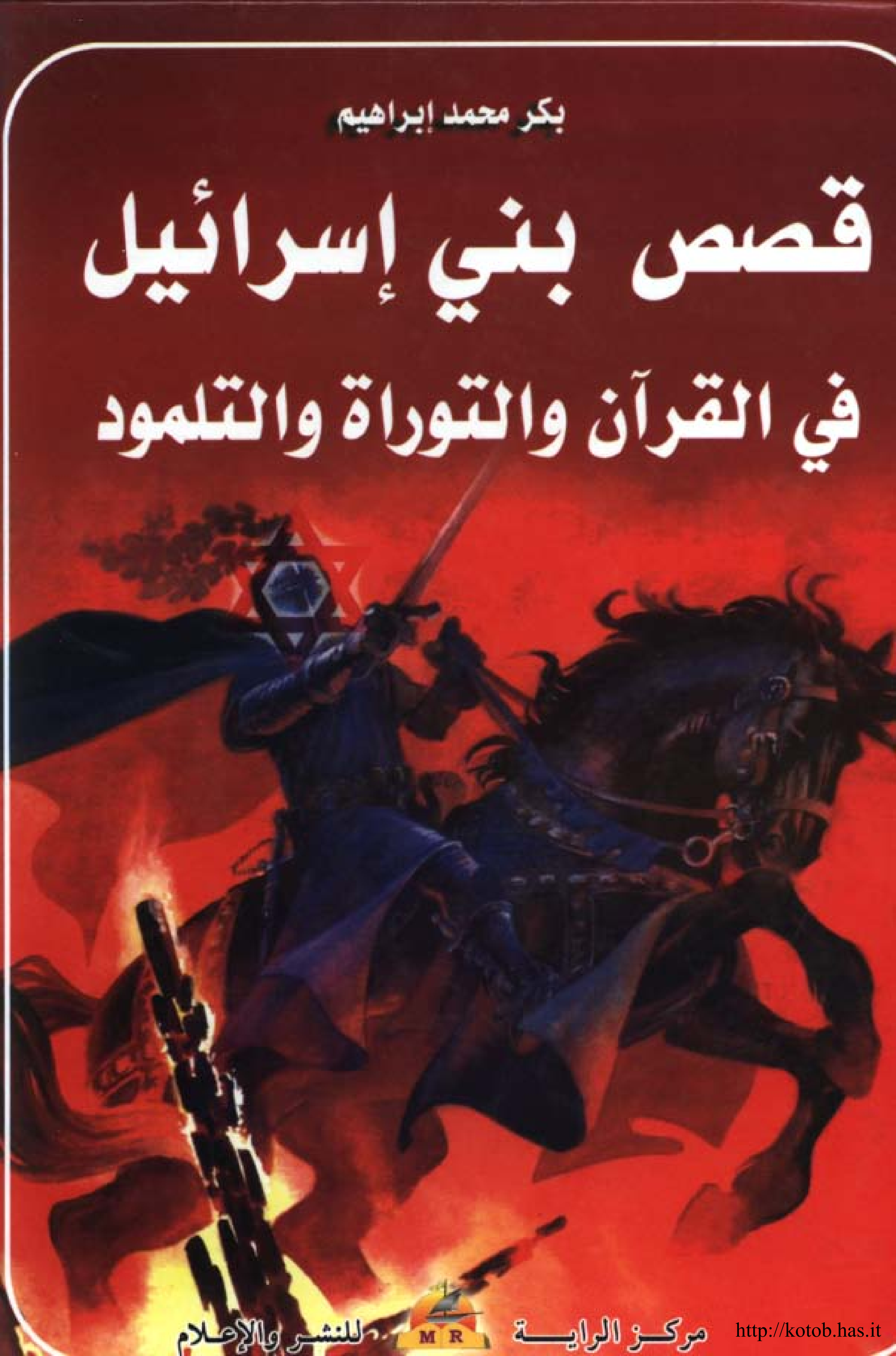
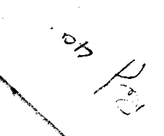

بكر محمد إبراهيم
قصص بني إسرائيل
في القرآن والتوراة والتلمود
مركز الراية للنشر والإعلام
MR
http://kotob.has.it

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

قصص
بني إسرائيل في القرآن والتوراة والتلمود

مركز الراية للنشر والاعلام



مركز الراية للنشر والاعلام

أسسة احمد فكرى عام ١٩٩٢

٣٠ميدان الحسين – السوق التجارى-مكتبة فكرى – تليفون ٥٩٣٦٢١٩

اسم الكتاب / قصص بنى اسرائيل

اسم المؤلف / بكر محمد ابراهيم

تصميم الغلاف / EVENT ADVERTISING

م. محمد لبيب / ٠١٠١٥٠٧٢٧٠

الطبعة الاولى / يونيو ٢٠٠٢

رقم الايداع / ٢٠٠٢/ ١١٢٨٨

الترقيم الدولى / I.S.B.N. : 977 - 354 - 019 - 7

مقدمة

الحمد لله خلق الخلق وأحصاهم عدداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً والصلاة والسلام على سيدنا محمداً وعلى آله وصحبه ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

وبعد ،،،

فهذا الكتاب يروى قصص بنى إسرائيل فى القرآن ومنها قصة بقرة بنى إسرائيل والعجل الذى عبدوه وصنعه لهم السامرى وقصة موسى ومؤمن آل فرعون وصاحب الجنتين وغيرها .

كما يروى بعض قصصهم وأخبارهم من التوراة لإلقاء الضوء على سيرة هذه الأمة التى غلب عليها الشر وكثر فيها الخبث وصدر منها من الجرائم ما يشيب لهوله الولدان فهم قتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية اتصفوا بالجحود والنكران وحب الدنيا .

عاثوا فى الأرض فسادا وسفكوا الدماء وخربوا البلاد وأهلكوا الحرث والنسل.

وكان فيهم صالحون غير أن أكثرهم طالحون تربوا على البغض لخلق الله والكراهية للأجناس والنظر إلى عاجل الشهوات ، وتواصوا بالباطل وكذبوا وغشوا وخانوا وأفسدوا .

قال تعالى : ﴿ وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾

وقد ختمت الكتاب بفصل عن التلمود ذلك الكتاب الذى وضعه اليهود باعتباره تفسيراً للتوراة كما يزعمون.

وقد حرف اليهود التوراة محاولين اخفاء البشارة بالنبى محمد ﷺ وتجنوا على الأنبياء ولصقوا بهم أعمالاً مشينة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الخطأ، فزعموا أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهما، وزعموا أن عفريتا من الجن حل مكان سليمان وعاشر امرأته أربعين يوما ، وزعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فصرعه يعقوب تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

وقد صاغ أحبارهم فى التلمود افتراءات وأكاذيب وحرضوا أمتهم على قتل غيرهم من الأمم وسبى النساء والأطفال ، وزعموا أن غير اليهود كلاب وحمير وخنازير خلقهم الله فى صورة بشر ليسخرهم اليهود وهاهم يشنون حرب الإبادة على إخواننا الفلسطينيين ويمنعون عنهم الطعام والشراب والدواء ويفرضون حظر التجوال ويغلقون المدارس والمستشفيات ، ويحاصرون عرفات ويضربون سيارات الإسعاف ويغتصبون النساء فمتى يتحرك المسلمون لإنقاذ إخوانهم وأنفسهم قبل أن ينطبق على المسلمين المثل القائل (إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض) .

فلعنة الله على الظالمين .

المؤلف

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

عضو إتحاد الكتاب

قصــة
موسى والخضر
عليهما السلام

قصة موسى والخضر

عليهما السلام

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ

بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف]

القصة

واذكر أيها الرسول قول موسى لفتاه وهو يوشع بن نون لا أزال سائرا في الأرض باحثا عن ملتقي البحرين، ولو أمضيت فى سيرى حقبا طويلة من الزمن.

قال موسى عليه السلام ذلك لفتاه (خادمه)، وأظهر صدق عزمه، ليكون الفتى على بينة من أمره وليعلم حقيقة هذه المهمة وما تتطلبه من جهد ومشقة ليستعد لها

الدافع لهذه الرحلة:

بنى العزيز بنيتى العزيزة : كانت هذه الرحلة الشاقة فى طلب العلم، والعلم أمنية غالية وهدف سام. وهو من أشرف الغايات وأجل النعم.

روى البخارى وغيره : أن موسى عليه السلام خطب فى بنى إسرائيل يوما حتى أبكاهم، فلما تولى عنهم تبعه رجل منهم فقال : يا رسول الله أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا، فعتب الله عليه إذ لم يسند علم ذلك إليـــه ، فأوحى إليه: أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى : يارب وكيف لى به ، قال : تأخذ معك حوتا فتجعله بمتلك فحثا فقدت الحوت فهو ثم .

وكان موسى عليه السلام يحب أن يزداد علما إلى علمه وطالب العلم يجب أن لا يستكثر فى سبيل طلب العمل وقتا أو جهدا أو مالا.

أين يقع مجمع البحرين:

مجمع البحرين مقصود به هنا خليج السويس وخليج العقبة، وملتقاهما هو رأس شبه جزيرة سيناء عند طرفها الجنوبى، حيث يتفرع عندها البحر الأحمر إلى فرعين يذهبان شمالا ويحصران بينهما شبه جزيرة سيناء.

فحيث يكون افتراق الفرعين يكون اجتماعهما فهذا الموضع هو مجمع البحرين أى مكان اجتما ع البحرين أى فرعى البحر الأحمر.

والذى يؤكد ذلك أنه من المعلوم وكما ثبت فى القرآن الكريم بأن موسى عليه السلام عندما تحرك بعد خروجه من مصر ببنى إسرائيل لم

يجاوز شبه جزيرة سيناء، حيث ضرب فيها التية على بنى إسرائيل أربعين سنة. ومن المعلوم أيضا أن رأس شبه الجزيرة الجنوبى صخرى تكثر فيه الصخور حيث وجد العبد الصالح جالسا على إحدى الصخور هناك، قال تعالى : ﴿ أربعين سنة يتيهون فى الأرض ﴾.

وقال تعالى :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) ﴾

واتخذ سبيله فى البحر عجبا:

وصل موسى عليه السلام وفتاه إلي صخرة مجمع البحرين وبينما كان موسى عليه السلام نائما عند الصخرة ويوشع بجانبه مستيقظا يحرسه إذ رأى أمرا عجيبا حار له عقله وملك عليه مشاعره - رأى الحوت يضطرب ويتحرك فى المكتل (القفة) ثم يخرج حيا متخذا له فى البحر طريقا على وجه الماء وكلما مضى (سار) صار خلفه يبسا (جافا).

ولم يكن موسى عليه السلام وفتاه يوشع يعلمان أن الصخرة التى كانا عندها تقع بين مجمع البحرين، فانطلقا بعيدا عنها وجاوزاها بيوم وليلة، فلما جلسا يستريحان قال موسى لفتاه : " آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً(تعبا) . فتذكر يوشع ما كان نسيه من أمر الحوت، وأخبره بأنه اتخذ سبيله (طريقه) فى البحر سربا ، فعذره موسى عليه السلام وأدرك أن هذا بغيته (هدفه ودليله إلى العبد الصالح). فقام وفتاه يقصان (يتتبعان)

الأثر ليصلا إلى تلك الصخرة التى كانا عندها. والسرب هو النفق والمسلك والمظهر.

لقاء موسى والعبد الصالح:

ولما وصلا إلي الصخرة التى كانا عندها وجدا الخضر ذلك العبد الذى أتاه الله رحمة (نبوة) وأتاه من لدنه (علما منه بلا واسطة) علما.

فسلم عليه موسى عليه السلام فرد عليه الخضر السلام. وقال له الخضر من أنت؟ قال أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل؟

قال نعم.

قال: فما شأنك؟

قال: جئت لتعلمني مما عُلمت رشدا.

قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك يا موسى؟

إن لى علما لاينبغى لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر، فقال: والله ما علمى وما علمك فى جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر.

فقال له موسى عليه السلام:

هل تأذن لى أن أصحبك وأخدمك على أن تعلمنى مما علمك الله؟

فقال له الخضر:

إنك لن تستطيع أن تصبر على ما تراه منى من الأمور التى قد تحسبها شرا فتلومنى عليها، وأنت صاحب شريعة تحكم بظواهر الأمور.

فقال له موسى :

ستجدنى إن شاء الله صابراً معك لا أعترض على شئ تفعله، ولا أعصيك فى أمر تأمرنى به.

فاشترط عليه الخضر أن لا يسأله عن شئ يراه مخالفا لشريعته ويصعب عليه فهمه حتى يحدثه عن حقيقته وحكمته، فاتفقا على ذلك فانطلقا إلى ساحل البحر الأحمر في انتظار سفينة تحملهما إلى الشاطئ الآخر.

بنى العزيز أنظر إلى تواضع موسى عليه السلام وتقبله أن يكون تابعا لغيره وهو الذي علمه الله تعالى وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، وانظر إلى اصراره فى طلب العلم مهما كلفه من مشقة وجهد رغم رفض الرجل الصالح فى أول الأمر أن يتبعه موسى لأن علم الخضر فوق إدراك العقولوتصوراتها.

السفينة :

لما اتفق النبيان العالمان على الصحبة، وجاءت سفينة أستأذن الخضر أصحابها فى الركوب فأذنوا لهما ولم يأخذوا منهما أجراً لما رأيا علامات الصلاح والتقى على وجهيهما ولعلمه طمعوا فى دعائهما أو كانا يعرفان الخضر عليه السلام.

فلما كانت السفينة تمخر عباب الماء (الأمواج) أمسك الخضر بقدوم

ونزع لوحا من السفينة فخرقها، فغضب موسى عليه السلام واعترض عليه بأنه فعل شرا، فذكره الخضر بشرطه فاعتذر عن اعتراضه ومخالفة الشرط؟ فقبل الخضر عذره.

يقول تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) ﴾ [الكهف]

والغضب محمود ما دام لله ما لم يؤد إلى منكر مساو له. وكان الخضر عليه السلام يتوقع ذلك من موسى عليه السلام لأنه لم يتعود أن يرى مثل هذه الأفعال.

قتل الغلام:

ويمضيان فى طريقهما إلي أن يبصر الخضر عليه السلام فى الطريق غلاما يلعب مع الغلمان فيأخذه ويخنقه ويقتله أمام موسى عليه السلام، فلا يتمالك موسى نفسه من الغضب وهو يرى الغلام لم يقترف ذنبا ويرى قتلا وقع على طفل برئ، فيعترض عليه ويحتد قائلا: "قتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً".

قال الخضر لموسى : " ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا؟

قال موسى عليه السلام: "قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا"

فألزم موسى عليه السلام نفسه بأنهاء الصحبة إذا سأل واعترض بعدها فأخذ زمام المبادرة قبل أن يطرده الخضر من صحبته، فقال له : لا عليك فقد أعذرت وأنذرت وتحملت فأجعل لى فرصة أخيرة لعلى لا أنسى الشرط الذى بيننا .

روى البخارى ومسلم عن الرسول ﷺ قال : " رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحب ذمامة (أى حياء واشفاق من الذم" .

بناء الجدار:

فانطلقا حتى أتيا أهل قرية وقد أحسا بالجوع قد بلغ منهما مبلغه وكان زادهما قد نفد، فطلبا طعاما من أهل القرية فرفضوا إطعامهما ولم يجدا بيتا واحدا من بيوت القرية يضيفهما ويمنحهما حقوق الضيافة.

لقد كانت قرية خبيئة فقد أهلها الشهامة والمرؤوة ومكارم الأخلاق واتصفوا بالشح والبخل وماتت لديهم مشاعر الإنسانية والرحمة.

قال تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴾ [الكهف]

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجدار بأنه يريد أن ينقض وهي
استعارة جعلت الجدار وكأنه إنسان يحس ويسمع ويرى ويريد أن ينهدم
وذلك لبيان أن الجدار كان على وشك الانهيار. فأسرع الخضر عليه السلام
يبنى الجدار فى هذه القرية التى لم يصنع أهلها فيه ولا فى صاحبه
معروفا، ولم يعرفوا لهما حقا، ولم يؤديا ما عليهم من واجب الضيافة وتهيئة
الراحة وتقديم الطعام والشراب إلي الأضياف، وموسى عليه السلام ينظر
إليه دهشا وهو يقيم الجدار ، ولا يبالى بما هما فيه من جوع وجهد مضنى
من أثر السفر والسير الطويل، والقوم ليسوا أهلا للمعروف، والمكان الذى
يبنى فيه الجدار خرب يخلو من السكان، وبناؤه عمل فى غير محله، وشغل
في غير وقته، والحاجة لا تدعو إليه ، وهناك من الأمور ما هو أهم منه،
وهو البحث عن الطعام والمأوى.

وجه موسى عليه إلى الخضر اقتراحا وليس اعتراضا قال " لوشئت
لاتخذت عليه أجرا".

فأحس الخضر عليه السلام بتبرم موسى عليه السلام بهذا العمل ولو
بطريق غير مباشر ورأى فى هذا الاقتراح إخلالا بالشرط فأعلن نهاية
الصحبة وقرر الفراق ووعد بتفسير هذه الحوادث التى غمضت على صاحبه
وخالفت في ظاهرها الشريعة الموسوية وكان هذا التأويل من الخضر عليه
السلام لموسى.

سأنبك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا:

جلس العبد الصالح موسى عليه السلام ليخبره بخير وتفسير ما لم

يستطع أن يتحمله ويتسع له صدره، بعد أن قطع فى المسير إليه مسافة بعيدة وتجشم العناء فى ارتحاله إليه.

كشف المعلم لتلميذه خطايا هذه التجربة المثيرة التى رأى منها ظاهرا لا يستقيم على منطق ولا يتفق مع عقل سليم. ولم يشأ الخضر أن يترك موسى فى حيرته البالغة، وأن يرجع إلى قومه دون أن يفهم من هذه التجربة شيئا، وهو الذى جاءه بطلب العلم بوحى من ربه.

قال تعالى :

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف]

فأخبر الخضر تلميذه موسى عليه السلام سبب خرقه السفينة وهو صرف نظر الملك المغتصب عنها، وأن سبب قتل الغلام أنه كان لو عاش لكان سببا فى فتنة أبويه فى دينهما، وكان قتله رحمة للغلام نفسه حيث أنقذه من الكفر. وكان سبب بناء الجدار أنه كان مدخرا تحته كنز لغلامين يتيمين وأراد الله تعالى أن ينعم عليهما به ببركة صلاح أبيهما الذى مات

وخلفهما صغارا. ثم عقب العبد الصالح بعد هذا التأويل بقوله : ما فعلته عن أمرى " أى فعلته بأمر الله تعالى " وبهذا استدل أهل السنة بأن الخضر عليه السلام كان نبيا. وبهذا لم يترك الخضر لموسى مجالا لسؤال ولا مجالا لشبهة ، ولا ندما على تلك الرحلة التى تكبد فى سبيلها المشقة وانفق الوقت وبذل الجهد. وأفاد موسى عليه السلام من هذه الرحلة كثيرا من العلم والأدب، واستفاد تجربة جديدة تضاف إلى تجارب حياته السالفة، لم يكن يتعلمها لو لم يصحب العبد الصالح، وأحاط بكثير من شئون الله فى خلقه، فكانت هذه الرحلة رياضة روحية له شرح الله بها صدره بعد أن ضاق ذرعا بأذي قومه ، وكثرة اختلافهم وعصيانهم. وتعلم منها الصبر والتواضع.

وتعلمنا نحن من هذه الرحلة كيف يكون الأدب مع الله تعالى في نسبة الأفعال إليه

والتأدب فى نسبة الشرور إلي النفس أو الشيطان تأدبا مع الله تعالى حيث قال العبد الصالح فأردت أن أعيبها، ولم يقل فأراد ربك أن يعيبها كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ ولم يقل وإذا أمرضني ، ونسب الخلق والإطعام والشفاء إلى الله تعالى.

وأيوب عليه السلام نسب المس للضر ونسب التعب والعذاب للشيطان.

قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) ﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ﴾ [ص] وفى موسى قال : ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ [الكهف] والجن قالوا : ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ [الجن]

ونسب العبد الصالح الخشية له ﴿ فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾ .

ونسب إرادة بناء الجدار إلى ربه تأدبا معه فى نسبه الخير إليه، ثم رد جميع الأفعال فى الجملة إلى الله عز وجل "وما فعلته عن أمرى".

أخا الإسلام:

وهنا سر لطيف فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام.

فموسى عليه السلام اعترض على خرق السفينة وخشى الغرق رغم أن الله تعالى أنجاه من الغرق مرتين بدون سفينة مرة وهو صغير ومرة وهو كبير عندما لاحقه فرعون وجنوده.

وأعترض على قتل الغلام بينما قتل القبطى من قبل.

واعترض بطريق غير مباشر على بناء الجدار لأهل القرية اللئام رغم أنه سبق وسقى للفتاتين أغنامهما رحمة بهما، وعطفا وإحسانا.

فما فعله الخضر من قبيل ما فعله موسى عليهما السلام.

التعريف بالخضر:

ورد فى القرآن الكريم أنه عبد من عباد الله أتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما.

وورد فى السنة أن اسمه الخضر، فهو لقب غالب عليه والسر فى تلقيبه بالخضر ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال : " إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هى تهتز من خلفه خضراء.

والفروة : الحشيش الأبيض اليابس، أو الأرض البيضاء الجدباء لا نبات فيها.

وهو نبى على أرجح أقوال العلماء. وقد عمر طويلا، وغالب الظني أنه مات ولم يدرك النبى ﷺ لأنه لم ينقل إلينا عن النبى ﷺ أن الخضر لقى النبى ﷺ.

قال تعالى : ﴿وما جعلنا البشر من قبلك الخلد﴾ وما روى كثير من الناس أنه لقى الخضر عليه السلام ثم اختفى فجأة فلعله رجل من الجن تمثل فى صورة الخضر وانتحل شخصيته والله أعلى وأعلم.

أخا الإسلام:

يردد بعض الناس أن الخضر كان وليا ولم يكن نبيا وأنه خرج على شريعة موسى عليه السلام ويستندون إلى ذلك فى أنه يجوز للولى أن يخرج على شريعة النبى. وهذا باطل من وجوه.

أولا : أن الخضر عليه السلام كان نبيا لقوله وما فعلته عن أمرى وهو ما يراه غالب علماء أهل السنة.

ثانيا : أنه على فرض أن الخضر لم يكن نبيا وكان مجرد ولي فلم يكن موسى عليه السلام مرسلا إلى الخضر ولا إلى وقومه حتى يقال أنه وسعه الخروج عن شريعته.

قصـــة
مؤمن آل فرعون
وقصة قارون

قصة مؤمن آل فرعون
وقصة قارون

موقف مؤمن آل فرعون

عقد فرعون وهامان وزيره وقارون صاحب الكنوز والأموال الكثيرة وهو من كبار رجال دولة فرعون عقدوا العزم على قتل موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين. وعلم بذلك رجل من الذين آمنوا بموسى عليه السلام، وكان هذا الرجل من أقرباء فرعون قيل أنه كان أخا لزوجة فرعون آسية بنت مزاحم رضى الله عنها.

أسرع الرجل المؤمن الذى كان يكتم إيمانه عن قومه ليعين موسى عليه السلام فى دعوته، أسرع إلى موسى عليه السلام ليطلعه على ما اتفق عليه فرعون وأعوانه الظالمون. وقام فدعا الناس إلي التمهل والتعقل والتفكير فى هذا الأمر الخطير، ودعا فرعون وقومه إلى الإيمان بأسلوب شيق مقنع يؤثر فى القلوب. قد جاءت قصته فى سورة غافر.

لما آمن السحرة– سحرة فرعون – بموسى وهارون عليهما السلام، اشتد غيظ فرعون، واحساسه بالفشل والاحباط وانكشاف باطله وخشى أن يؤمن الناس كما آمن السحرة وتابوا . وقام هامان وزير السوء باثارة غضب فرعون الطاغية ، الذى أدعى الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى، وخوفه على ملكه ، وأشار عليه بقتل أبناء الذين آمنوا بموسى واستبقاء نسائهم للخدمة فى البيوت.

يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) ﴾ [غافر]

وهكذا يلجأ أصحاب الباطل من الطغاة إلى استخدام القوة لاسكات صوت الحق إذا لم يجد حجة مقنعة وبرهانا ساطعا على باطله والحق ظاهر واضح والباطل لا تقوم له حجة مقنعة.

أما فرعون فقد رأى أن يقتل موسى أولا ليعلم الناس أنه لو كان له رب غيره لحال بينه وبين قتله ولخلصه من بطشه.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) ﴾ [غافر]

هكذا يتهم فرعون لعنه الله يتهم موسى عليه السلام بأنه يفسد فى الأرض . ولما علم موسى عليه السلام بما يدبره فرعون وقومه من المستشارين والأعوان وكبراء دولته، استعاذ بحول الله وقوته من كل جبار متكبر ، لا يؤمن بالقيامة والحساب والجزاء.

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) ﴾ [غافر]

وقد استجاب الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام فأعاذه وحماه ومن معه من المؤمنين من فرعون وشره. وسخر له هذا الرجل المؤمن يدافع عنه بالحجة والموعظة الحسنة، ويعينه فى تبليغ رسالة ربه، وتثبيت دعائم الإيمان فى قلوب المؤمنين بالحجة القاطعة والبرهان الساطع.

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾ [غافر]

يذكرهم بفظاعة ما قرروه من قتل رجل يقول ربى الله، وهو قد دلل على صدقه فيما جاءكم به من البينات، وليس فى وسعكم إنكار شئ منها، وقد رأيتم السحرة قد سلموا له وأقروا بصدقه، وخروا له سجدا وفضلوا الآخرة على الدنيا.

ثم يفرض لهم أسوء الفروض يقول : إن يك كاذبا فعليه وزر كذبه، وهو وحده يتحمل تبعة عمله، وان يكن موسى صادقا يصيبكم بعض ما وعدكم به من خير فى الدنيا والآخرة، ليس هناك مبرر لقتله.

ثم يهددهم ويخوفهم بالله تعالى : ﴿ ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب ﴾ وهذا تهديد لهم غير مباشر بصيغة العموم. فكأنه يقول إن الله تعالى ينتقم من المسرف الكذاب فلا تكونوا مسرفين كاذبين.

وهو بهذا القول يخبرهم أن الله وحده بيده الأمر كله، وهو وحده الذى

يجب الإيمان به وعبادته دون فرعون أو غيره.

ثم ينتقل بهم إلى أسلوب أشد ويخوفهم من عقاب الله فى الدنيا والآخرة فيقول : " ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا".

فيرد فرعون وقد ساءه النصح والوعظ واعتبره إساءة في حقه وجرأة عليه واستخفافا بسلطانه ، فهو الطاغية الجبار المتمرد الذى يريد الخضوع الكامل من الناس كلهم دون معارضة.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ [غافر]

أى أنه ليس لكم عندى فى هذا الأمر إلا ما رأيته من قبل وما سمعتموه منى حين قلت لكم " ذرونى أقتل موسى وليدع ربه تلك الكلمة التى فيها رشادكم وحمايتكم مما يتهددكم من الشر، فهل تشكون فى حمايتى لكم وأرتياد مواقع الخير والأمن والسلامة لكم.

وقبل أن ينفض المجلس يبادر الرجل المؤمن فيقول : ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ

فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾ [غافر]

أخا الإسلام:

بادر الرجل المؤمن بالقاء هذه الكلمات قبل أن ينفض المجلس - مجلس الشورى - وكأنه يقول إن كلمة فرعون ليست هى الأخيرة ويكلمهم بأشد الكلام ويزجرهم ويخوفهم عاقبة الأمم المتردة الكافرة قبلهم وعاتبه الملوك الجبابرة. ومع ذلك يتودد إليهم ويخاطب عقولهم وقلوبهم فيناديهم نداء الشفقة والاستكاف محذرا إياهم من طاعة فرعون الطاغية، حتى لا يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبة قبلهم وهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وهم أباؤهم الذين بعث إليهم يوسف عليه السلام. ومن المعلوم أن موسى عليه السلام من أحفاد يوسف عليه السلام.

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) ﴾ [غافر]

وينفض المجلس من غير أن يستجيب القوم لهذا الناصح الحكيم، إما لخوفهم من فرعون وإما لرغبتهم فى عطاياه وقربه.

أسرع فرعون يسخر من موسى عليه السلام ويزعزع قلوب الناس خشية أن يدخلوا فى دين موسى عليه السلام، فأمر وزيره هامان أن يبنى له صرحا يصعد عليه فينظر إلى إله موسى.

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ (٣٧) ﴾ [غافر]

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) ﴾ [القصص]

وهنا يخرج الرجل المؤمن عن سلطان فرعون ويعلن إيمانه من غير مواربة (إخفاء).

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى

النَّجَاة وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر]

فلما أدى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأداء النصيحة لقومه وأهله، وظهر صدق توكله على الله تعالى والثقة بما عنده والرضا بقضائه وقدره، نجاه الله تعالى من سيئات أعمالهم، وأهلك فرعون ومن معه بالغرق وأوردهم النار فى قبورهم، وأعد لهم يوم القيامة عذابا ليس كمثله عذاب.

قال تعالى :

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر]

وهذه الآية من جملة الآيات الدالة على عذاب القبر الذى يلحق المجرمين والكافرين لأن معنى الغد أول النهار والعشى آخر النهاد ثم قال : ويقوم تقوم الساعة أى أن هذا العذاب فى أثناء النهار والليل غير عذاب القيامة.

قصة قارون

أخا الإسلام :

قصة قارون مرويه فى سورة القصص، وهى قصة بالغة العبرة والعظة والاعتبار، تبين عاقبة البغى (الظلم) والغرور والاعتداد بالمال والركون عليه وجمعه من الحلال والحرام والمبالغة في هذا الجمع وجعله الهدف الأكبر للحياة والتطاول على الناس والتكبر عليهم بسبب هذا الغنى الفاحش وفى نهاية القصة تذكر الآيات أن العاقبة للمتقين أى أن الخير يكون في نهاية الأمر للمتقين الذين يخافون الله ويؤدون واجب الشكر ويؤدون حقوق الله وحقوق العباد مع التواضع لله رب العالمين.

يقول تعالى :

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾ [القصص]

كان قارون من قوم موسى قيل كان ابن عم له، وكان قد تتلمذ على يديه وسمع منه التوراة ولكنه آثر (فضل) الدنيا على الآخرة، فلم ينتفع

بالعلم لأن العالم يجب أن يتصف بالخشية لله تعالى كما قال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وكذلك يجب أن يتصف العالم بالحلم والصبر واليقين. وكان يتمتع بملكه اقتصادية ومعارف مالية فاستغل علمه فى الشر واغتر بهذا العلم ووظف امكانياته وذكاءه لجمع المال من الحرام وفرض الإتاوات والسمسرة والعمولات والرشاوى وغيرها من وسائل استغلال الفقراء ونهب المال العام والاضرار بمصالح الناس باكتناز المال وحجبه عن مصارفه الشرعية.

وحسد قارون موسى عليه السلام على ما آتاه الله من فضله وعلمه وكلامه وقربه واصطفائه (اختياره) رسولا إلي فرعون. وفي هذه الآيات الكريمة لفته إلى أن مجرد النسب الشريف لا ينفع صاحبه إذا لم يعمل عملا شريفا وإذا خالف سبيل المؤمنين وسلك سبيل المفسدين.

وقد ضرب الله تعالى قارون لكبراء مكة والطائف من المشركين الذين اغتروا بمالهم وأولادهم وجاههم وزعموا أنهم أحق بالنبوة من الرسول ﷺ.

﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) ﴾ [الزخرف]

وكان قارون حليفا لفرعون معينا له على بنى قومه الإسرائيليين ، ويسهل له فرعون سبل الكسب الحرام حتى جمع ثروة هائلة يعجز العصبة الأشداء من الرجال عن حمل مفاتيح كنوزها فما بالكم بالكنوز نفسها.

وقارون كان كافرا صريح الكفر وكان منافقا يقول رب العزة تبارك

وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (٢٥) ﴾[غافر]

وكان قارون وزيرا لفرعون فيما يخص شئون بنى إسرائيل، فجمع الأموال الطائلة (الكثيرة) ووضعها فى صناديق وجعل لكل صندوق مفتاحا، وجعل حراسا يحرسون المفاتيح فضلا عن حراس الخزائن .

قال تعالى :

﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ (٧٦) ﴾ [سورة القصص]، والعصبة من الرجال بين العشرة إلي الأربعن، وتنوء بهم أى تميلهم بثقلها

وكان قارون خائنا لقومه يقر فرعون على قتل مواليد بنى إسرائيل من الذكور ورغم أن بنى إسرائيل كانوا أهل كتاب وكان فرعون وثنيا كافرا مدعيا للألوهية.

أخا الإسلام:

إن الإنسان مهما جمع من أموال فإما أن يزول ماله أو يزول هو عن ماله بالموت بل لابد لكل حى من الموت فمن فضل الآخرة الباقية وجوار ربه

على الدنيا الفانية فقد فاز أما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى.

وهاهى الآيات التى تروى قصة قارون تضع مبادئ واسس لأصحاب الأموال كما سنعرضها عما قليل.

وهذه المبادئ فى قوله تعالى : ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾ [القصص] وهو فرح الغرور والكبر.

والثانى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ [القصص].

والثالث : ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص] أى لا تترك حركة الحياة والسعى لتحصيل المعاش والنفع الحلال باعتدال.

والرابع : ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أى قابل إحسان الله بالإحسان فى العبادة والشكر ومواساة الفقراء فأنت مستخلف فى المال وهو وديعة صاحب المال.

والخامس : ﴿وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص] ولا ينال ذلك إلا من أدعى الإيمان والحكمة وخشية الله.

وكلما وعظه موسى عليه السلام طالبه بتقوى الله وأداء الحقوق لله ولعباده المؤمنين قال : إنما أوتيته على علم عندى.

أى أوتيت هذا المال بجهدى وخبرتى بأساليب الكسب وجمع المال وذكائى وحيلتى فهو مالى أصنع به كما أشاء.

يقول تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) ﴾ [القصص]

فلما أصر على كبره وعناده وإفساده وغروره كان مصيره الهلال هو وما يملك.

يخرج قارون بزينته وعرباته وخيوله وخدمه وحشمه وعبيده وأعوانه وحليه وذهبه وفاخر ثيابه متزينا مترفعا متكبرا مستعرضا لقوته وأمواله ورجاله ونسائه وأملاكه.

وهنا يحسده من فتنته الدنيا وأعجبه حطامها الزائل ونعيمها الفاني واغتر بالأثاث والثياب والمواكب والزينات فيقولون مبهورين بعد خروجه على قومه في زينته.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص]

ولكن طلاب ثواب الله والعارفين بأسباب السعادة الحقيقية، لم يخدعهم هذه المظاهر البراقة فيحذرون طلاب الدنيا من الركون إليها.

وفى سرعة خاطفة كان قارون تحت الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة هو وموكبه وزينته وقصوره وأمواله، فقد دعا عليه موسى عليه السلام بالخسف .

وقد قيل أن قارون طعن موسى عليه السلام فى عرضه وحرض عليه امرأة ساقطة تتهمه فى شرفه.

وهنا عرف طلاب الدنيا أنه لا أمان لها وأن الآخرة خير وأبقى وأن عاقبة البغى وخيمه وأن الله يجعل العاقبة للمتقين وأن الدار الآخرة يجعلها الله تعالى للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا وأن العقبى الحسنة والمآل (المرجع) الآمن يكون للمتقين.

إن الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لايحب ، ولا يعطى الآخرة إلا لمن أحب .

وهكذا كانت نهاية هذا الطاغية المتمرد قارون.

قصــة
عجل بنى إسرائيل

قصة عجل بنى إسرائيل

فى قصر فرعون :

لما انتهى موسى عليه السلام إلى مصر بعد مناجاة ربه صحب أخاه هارون إلى قصر فرعون. وعرض عليه الدعوة وطلب منه أن يرسل معه بنى إسرائيل فيطلقهم من الأسر والعبودية، ولا يعذبهم بالاذلال والتسخير، وذكره بعذاب الله تعالى إن هو استمر فى غيه وإدعائه للألوهية، وحكم الناس بالظلم والجبروت.

وهنا أدرك فرعون أنه أمام الرجل الذى كان يخشاه على نفسه وملكه من قبل وأمام الرجل الذى كان يتمنى ألا يخلق، وألا يجئ اليوم الذى يأتى إليه فى عقر داره وفى ديوان حكمه ليعرض عليه ما لم يعرضه عليه أحد قبله.

ومن هو هذا الرجل ؟ إنه الوليد الذى رباه، ثم فر من وجهه بغضا له واستنكارا لظلمه، فلما سمع مقالته أراد أن يثنيه عن دعوته قبل أن يعلن بها الناس ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) ﴾ [الشعراء]

لكن موسى عليه السلام لم يهتم لهذا التهديد، واعتذر إنه كان ضالا، أى حائرا- لا يعرف ماذا يفعل لتخليص الإسرائيلى من يد المصرى ، فاضطر إلى وكزه (ضربه) وما كان يعرف أن هذه الوكزه تقضى عليه، واعتذر عن فراره من مصر لما علم بائتمارهم على قتله.

وكأن فرعون يريد أن يقول له : من أين جاءه هذا العلم، وكيف عرفت أن لك ربا غيرى، ومتى أرسلك إلهك، وكيف يختار الإله رجلا طريدا ينكر نعمة من رباه وأحسن إليه؟

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) ﴾ [الشعراء]

فكان موسى عليه السلام يلمح لفرعون بأنه إذا كان يطالب بدم رجل واحد من شيعته فكيف بدم آلاف قتلهم فرعون وكيف باستعباده أمة بأسرها وتسخيرها وظلمها.

وبعد هذا الحوار الهادئ المقنع بدا فرعون يسأل عن رب العالمين سؤال المتجاهل. فمعرفة الله تعالى فطرية لا تقبل الإنكار.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) ﴾ [الشعراء]

فيجيبه موسى : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) ﴾ [الشعراء]

ويظهر فرعون تعجبه من هذا الجواب ويثير عجب من حوله ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) ﴾ [الشعراء]

فيبادرهم موسى قبل أن يشير أحدهم بقتله تملقا لفرعون وخوفا على مصالحهم الدنيوية. قال : ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) ﴾ [الشعراء]

فلما سمع فرعون مقالة موسى لمن حوله خشى أن يقع في نفوس السادة والأشراف شئ من تعظيم موسى والميل لما يقوله فقال على الفور ما قاله من سبقه من الكافرين: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾ [الشعراء]

فرد موسى : ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) ﴾ [الشعراء]

وفى قوله إن كنتم تعقلون تعريض بمن اتهمه منهم بالجنون. فاشتد غضب فرعون ، فيتهدد ويتوعد. ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) ﴾ [الشعراء]

فعرض موسى عليه السلام برهانا ناصعا على صدق دعوته: ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) ﴾ [الشعراء]

قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) ﴾ [الشعراء]

فلما رأى فرعون هاتين المعجزتين سُقط فى يده، وأحس بالخيبة والخذلان ففكر أن هؤلاء القوم يحبون أرضهم فلو خوفهم من الخروج منها على يد موسى لمالت نفوسهم إلى تكذيبها حرصا على أرضهم وأموالهم فقال : ﴿ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) ﴾ [الشعراء]

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) ﴾ [الشعراء]

وفى سورة طه : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) ﴾ [طه]

فوجدها موسى عليه السلام فرصة ليعرض دعوته أمام الحشود الغفيرة بما فيهم السحرة وأدعياء العلم بدلا من السعى إليهم فى البلاد.

وبعد أن تودد فرعون إلي حاشيته أخذ يتودد إلي السحرة ويعدهم بالمنح والمكافآت السخية والمناصب العليا والتقرب منه ، خشية أن ينتصر موسى عليه وعليهم.

موسى عليه السلام فى مواجهة السحرة:

اجتمع آفراد الشعب المصرى فى ساحة المنازلة وجمع فرعون السحرة من مختلف آنحاء البلاد ووقف السحرة أمام موسى وقالوا له تلقى أنت أم نلقى نحن آولا. فقال لهم موسى ألقوا أنتم أولا فألقوا حبالهم وعصيهم فخيل لموسى أنها تسعى فى صور حيات مخيفة وحشرات بشعة، وحيوانات مفترسة، ووقع فى الناس رعب عظيم، وخاف موسى أن يُكذب فى دعوته، فطمأنه ربه بأن الغلبة له وأنه هو الأعلى وأن ما يصنعون إن هو إلا حيل وألاعيب وتخييل وتأثير على العيون والنفوس بمكائد السحر وفنونه.

قال تعالى :

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾ [طه]

وقال تعالى :

﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨) ﴾ [الشعراء]

ولما رأى فرعون إيمان السحرة بموسى بعد ظهور الحق واندحار باطلهم ورؤيتهم لعصا موسى وقد تحولت إلى ثعبان هائل ابتلع عصيهم وحبالهم وهم لا؛ تسحر عيونهم كما يسحرون هم أعين الناس. لما رأى فرعون ذلك ثارت ثائرته، وافقده الغضب رشده، فهدد السحرة بصلبهم فى جذوع النخل بحجة إيمانهم بموسى دون إذن منه فاستهانوا . بعذاب الدنيا فى سبيل النجاة من عذاب الآخرة ، ورغبة فى غفران سيئاتهم وما أجبرهم عليه فرعون من السحر والشر والإيذاء والضلال.

يقول تعالى :

﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (٧٣) إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦) ﴾ [طه]

وقال تعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي

الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾ [الأعراف]

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) ﴾ [الشعراء]

أى لا ضيم ولا خسران علينا إذا ذهب من بين أيدينا كل شئ ولو كانت حياتنا وسلم لنا إيماننا، فنستقبل حياة هى أعز وأكرم وأفضل، أنها حياتنا الأخرى وهى خير وأبقى.

فرعون بعد إيمان السحرة:

اشتد إيذاء فرعون لبنى إسرائيل وأصر على كفره، فسلط الله عليه وعلى قومه عذابا من عنده. قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾ [الأعراف]

وكان فرعون كلما نزلت به نازلة، طالب من موسى أيدعوا إلهه ليرفع هذا البلاء، ويعده أنه لو آجابه وفرج عنه كربه يؤمن به ويرسل معه بنى إسرائيل، فيذهب بهم حيث يشاء وهم آمنون.

ولكن ما إن يرفع البلاء حتى يعود فرعون إلى سيرته الأولى.

يقول تعالى:

﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ﴾ والرجز هو العذاب، والنكث خلف الوعد.

ويشتد البلاء على بنى إسرائيل فيشكون لموسى عليه السلام بتوجيهم بالصبر الجميل ويعدهم خيرا ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) ﴾ [الأعراف]

المطاردة وهلاك فرعون وجنوده:

انكر فرعون وقومه هذه الآيات البينات المفصلات قست قلوبهم فلا ينفعها وعظ ولا زجر، ولا يردها عن غيها بلاء فكان لابد من الانتقام منهم وإهلاكهم.

وظل بنوا إسرائيل يعانون بطش فرعون حتى فقدوا الصبر وملوا الحياة فأوصى الله تعالى إلى موسى أن يخرج من هذه الأرض التى أفسدها الفراعنة بطغيانهم فعلم فرعون بخروجهم ليلا، فجمع جموعه من أجل اللحاق بهم والقضاء عليهم فأخرجهم الله تعالى من النعيم إلى الهلاك.

يقول تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨) ﴾ [الشعراء]

ويقول تعالى :

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الدخان]

وقوله تعالى : رهوا أى ساكنا على حاله.

وقال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) ﴾ [يونس]

"تنجيك" أى نجعل بدنك فوق ربوة عالية ليشهدها الناس ويتأكدوا من موته لتكون عبرة لمن يعتبر".

سؤالهم عبادة الأصنام:

وبينما كان بنو إسرائيل فى طريقهم إلى سيناء - بعد مجاوزتهم البحر الأحمر وجدوا قوما يعكفون على أصنام يعبدونها من دون الله، فطلبوا من موسى عليه السلام أن ينصت لهم صنما مثل أصنامهم، يجعلونه واسطة بينهم وبين الله كما يفعل هؤلاء القوم، فغضب موسى عليه السلام، ووصفهم بالجهل والحمق وكفران النعم، ومن أعظمها نعمة الله، النجاة من فرعون وآله وقد كان المصريون يعبدون ما يسمى بعجل أبيس كما هو ثابت من آثارهم وكانوا يعبدون القطط والكلاب والثعابين والشمس والقمر من دون الله. والعجب من هؤلاء الإسرائيليين الذين يطلبون عبادة أصنام من دون الله وأقدامهم لم تكد تجف من ماء البحر الذى أغرق الله فيه أعداءهم من الفراعنة.

قال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) ﴾ [الأعراف]

رفضهم دخول بيت المقدس وعقابهم بالتيه:

أمر موسى عليه السلام قومه بدخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم. وما أخرجهم من مصر إلا من أجل أن يدخلوها سجدا له – سبحانه- طالبين منه أن يحط عنهم ذنوبهم، ويغفر خطاياهم.

وقد ذكرهم موسى بنعم الله تعالى عليهم قبل أن يأمرهم بالدخول، لشحذ عزائمهم واستنهاض هممهم، وبعث كوامن الرغبة فيما أعده الله لهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، وليقيموا دين الله ويطردوا العماليق المشركين.

ولكن القوم جنبوا ورفضوا فى إصرار. فقد جبلوا على الدعة والكسل، والجبن والخور (الضعف). وقالوا لا طاقة لنا بقتالهم فإن يخرجوا فإنا داخلون. وقد نصح لهم رجلان منهم هما يوشع بن نون غلام موسى، وكالب بن يوقنا وقد أنعم الله عليهما بالعلم والحكمة، والذكاء والفطنة ،

والعزم والحزم وقوة الإيمان واليقين، والجرأة والشجاعة والصبر.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [المائدة]

ولم يدخلوها إلى بعد وفاة موسى ودخلوا على يد نبى الله يوشع بن نون.

عبادتهم العجل:

جعل الله تعالى موسى عليه السلام ميقاتا يكلمه فيه، وواعده ثلاثين يوما يقوم فيها بعيدا عن قومه، وزادها عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة.

وقد وصى موسى أخاه هارون أن يخلفه فى قومه بخير، فيحكم بينهم بالعدل ويصلح ذات بينهم ويقيم لهم شعائر الدين ولا يتبع سبيل (طريق) المفسدين وذهب موسى لميقات ربه، فلما كلمه طلب منه أن يراه، فأخبره أن هذا أمر لايمكن منه، وأحاله للنظر إلى الجبل فدُك الجبل بتجلى الله تعالى عليه وخر موسى صعقا، ثم يفيق موسى من صعقته مسبحا لله تائبا إليه. قال أنه أول المؤمنين بجلاله وكماله وعظمته ووحدانيته.

فعذره ربه لعلمه أنه ما طلب أن يراه إلا لفرط (لشدة) حبه له، واستعذابه لمناجاته، فأراد أن يضم إلى السماع الرؤية.

قال تعالى :

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [الأعراف]

وفى الوقت الذى كان موسى عليه السلام يناجى ربه سبحانه وتعالى فوق جبل الطور- عبد قومه عجلا صنعه لهم رجل ضال اسمه السامرى حيث صنعه لهم من الذهب الذى حملوه معهم من مصر، وقد قال لهم

السامرى وأتباعه الضالون: هذا إلهكم وإله موسى نسيه هنا وذهب يبحث عنه على جبل الطور، ولهذا تأخر عن الموعد الذى ضربه لكم ففرحوا برؤيته ورقصوا حوله وعظموه، وطافوا به وكبروا له، وخالط حبه قلوبهم كما قال تعالى ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾.

ونهاهم هارون عن ذلك الشرك والضلال فنهروه واستضعفوه وكادوا يقتلونه. ولم يشأ هارون أن يشعل فيهم نار حرب أهلية حتى يرجع موسى عليه السلام ويرى فيهم رأيه.

وأخبر الله تعالى نبيه موسى أن قومه قد فتنوا من بعده، وأضلهم السامرى، فرجع موسى إلى قومه غضبان اسفا(حزينا).

قال تعالى :

وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [طه]

كان موسى عليه السلام قد أمر قومه أن يسيروا إلى جانب الطور

على أن يعود إليهم بعد ثلاثين ليلة، فعاتبه ربه أنه سبقهم وتركهم. وكان موسى مجتهدا ورأى أن هارون فيهم يقوم على أمرهم.

واعتذر القوم لموسى بأنهم كانوا يحملون أوزاراً ثقيلة من زينة أهل مصر، وقد ندموا على حملها، وأشار عليهم السامرى بوضعها فى حفرة حتى إذا رجع وأشار من الميقات بين لهم حكم الله فيها. وما أخلفنا موعدك برغبتنا. ولكن بعض القوم حملونا قهرا على إلقاء ما معنا من الزينة الذهبية فى حفرة ففعلنا.

وقد وضع السامرى ترابا من تحت أقدام فرس جبريل عليه السلام فقد كان جبريل يربيه ويحنوا عليه ولذلك قالوا إن موسى الذى رباه فرعون صار نبيا وموسى الذي رباه جبريل صار كافرا والهداية من الله تبارك وتعالى.

وقد أعجب القوم بالعجل الذى كان له صوت يشبه خوار العجول الحية، وهم قد عرفوا الوثنية، وعايشوها زمنا، وكانت لا تزال قلوبهم متعلقة بها من تأثير الفراعنة عليهم.

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن

تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه]

وقال جل شأنه :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأعراف]

ويقبل موسى عليه السلام اعتذار أخيه، ويدعو له ولنفسه بالمغفرة والرحمة .

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف]

وقال موسى للسامرى ما حملك على ما صنعت، فيجيبه فى غرور، فعلت ما فعلت عن بصر وخبرة، ولقد سولت لى نفسى أمرا ، فاتبعت هواها فصنعت للقوم هذا العجل فيغضب موسى ويطرده ويدعو عليه، ويتوعده بمرض شديد ينزل به فورا يجعله لا يطيق أن يمس أحدا، أو يمسه أحد.

مرض يجعل الناس تنفر منه وتبتعد عنه وتمقت النظر إليه.

ولعل ما أصاب السامرى هو هشاشة العظام فلا يتحمل لمس أحد ولا يستطيع هو لمس غيره، والبرص الذي يجعل هيئته منفرة مقززة وهو مرض جلدى، وبعض الكتاب المعاصرين يرى أن السامرى هو المسيح الدجال بدليل أن موسى عليه السلام لم يقتله كما قتل عباد العجل لأنه من المنظرين المهلين وهو كان أحق بالقتل لأنه الفاعل الأصلى والمحرض على الشرك واستدلوا أيضا بأن جبريل كان يربيه كما ورد أن الدجال قد رباه جبريل واستدلوا أيضا - أنه كان خبيرا فى علوم الكيمياء والفيزياء والهندسة وغيرها من العلوم كما هو الشأن فى الدجال لطول عمره وخبرته فى الحياة.

توبتهم من عبادة العجل:

أحس كثير ممن عبد العجل بخطورة الذنب الذى وقعوا فيه وشعروا بالندم الشديد لما ارتكبوه فى حق ربهم وإلههم، ولعلمهم أن الشرك يؤدى بصاحبه إلى الخلود فى النار إذا لم يتب منه قبل موته. فرجعوا إلى موسى عليه السلام يسألونه عن كيفية التوبة.

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾ [البقرة]

فأمر الموحدون بقتل المشركين حتى قتلوا منهم عدة آلاف فنزل عفو الله عنهم، وأمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا إلى المقيات ليعتذوا عن قومهم فطلبوا رؤية الله فأماتهم ثم أحياهم ببركة دعاء موسى واعتذاره عنهم وطلب العفو لهم.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾ [البقرة]

قصـــة
بقرة بنى إسرائيل
والذين خرجوا من ديارهم
والعزير

قصة بقرة بنى إسرائيل

ذكرت قصة بقرة بنى إسرائيل فى سورة سميت باسمها وهى سورة البقرة المدنية، وذلك لعجب تلك القصة وعظيم دلالتها على قدرة الله الفائقة فى إحياء الموتى وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وفى ثنايا القصة نلمح تعنت وعناد بنى إسرائيل مع نبى الله موسى عليه السلام فى تعيين البقرة الحلوب وذبحها. فقد قتل فى القوم قتيل أمام مدينة يغلق أبوابها ليلا وتفتح نهارا.

فقام أهل المدينة فى الصباح يفتحون أبوابها فوجدوا على أبواب مدينتهم قتيلا فأداروا فيه أى تدافعوا كل منهم ينفي التهمة عن نفسه ويلقيها على الآخر، وحاروا فى التعرف على القاتل، فلجأ القوم إلى نبى الله موسى عليه السلام وطلبوا منه أية من ربه تنطق القتيل باسم القاتل، وهم يريدون أن يتأكدوا من صدق موسى فى دعوته، وأن يستيقنوا أنه كليم الله حقا، فهم قوم ملأ الشك قلوبهم. وأفرخ فى عقولهم، فكلما جاءتهم آية من آيات ربهم لم يكادوا يؤمنوا بها ساعة حتى ترد عليهم الشبهات فتردهم على أعقابهم برغم أنه عاينوا من قبل آيات الله الكثيرة ومعجزاته الباهرة التى خص بها نبيه الكليم عليه السلام. من تحول العصا إلي ثعبان وضياء يده كضوء الشمس وإهلاك فرعون وقومه فى اليم وانفلاق البحر كالطور (الجبل) العظيم وغير ذلك من المعجزات والآيات.

وقد أجابهم موسى عليه السلام إلى ما طلبوا. فدعا ربه أن يريهم آية تكشف لهم أمر من قتل القتيل تضاف إلى معجزاته التى أيده الله بها،

وجعلها برهانا لصدقه فيما يبلغ عنه، فلما أمرهم موسى بذبح بقرة ارتابوا فى ذلك وقالوا لأنفسهم وما شأن البقرة بالقتل، وأى ارتباط بينهما، واتهموا موسى بما لا يليق وواجهوه بأنه يستهزى بهم. وسألوه عن أوصاف تلك البقرة التى يأمرهم الله بذبحها وسألوه عن لونها. وعن حالها، فأجابهم موسى عليه السلام عن كل ما سألوا، فذحبوها وهم فى شك من أمر نبيهم.

فلما ذحبوها أمرهم موسى أن يضربوا القتيل بعصا ، فقام القتيل حيا بإذن الله ودلهم على من قتله.

وقد حكى القرآن الكريم هذه القصة في ثمانى آيات من سورة البقرة، كل آية تحمل فى طياتها من العظات والعبر والحقائق البينة عن طبيعة هذا الشعب وأخلاقه وسلوكه مع أنبياء الله ورسله، ومنهجه في الحياة ونظرته للأمور وتخليهم عن اللين والسماحة.

يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا

ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾ [البقرة]

تفصيل القصة:

تعجب القوم وأصابهم الذهول ، لما أمرهم نبيهم موسى عليه السلام بذبح بقرة وتساءلوا فيما بينهم ما لهذه البقرة والتعرف على القاتل؟ ولماذا بقرة بالذات؟ وظنوا أن موسى عليه السلام يعبث بهم ويسخر منهم فقالوا: اتتخذنا هزءا أى اتجعلنا مكانا للهزء، موضعاً للسخرية؟

فلما سمع موسى عليه السلام مقالتهم تبرأ مما نسبوه إليه ، واستعاذ بالله أن يكون واحدا من أولئك الجاهلين الذين يقولون على الله بغير علم ، فقال : ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فكان حليما بهم رغم أنهم وصفوه بما لا يليق بذاته كنبى مرسل. إذ اكتفي بنفى ما نسبوه إليه دون أن يعنفهم بكلمة واحدة، وأخبرهم أن ما نسبوه إليه لا يليق بأمثاله، ولكن هو شأن السفهاء والحمقى.

ومع ذلك يقتنعون ويذهب بهم الحمق إلى أن البقرة المطلوبة ليست

مجرد بقرة ، وإنما هى على أوصاف نادرة لا تتحقق إلا فيها حتى يمكن أن تتخلق معها الآية التى طلبوها، فسألوا موسى عليه السلام أن يدعو ربه أن يبين لهم أوصاف هذه البقرة التى يأمرهم بذبحها إذ قالوا آدع لنا ربك يبين لنا ماهى.

ولم يقولوا ادع لنا ربنا، ومع هذا فقد أجابهم إلى ما طلبوا.

قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ، أى هى من أواسط البقر فى سعيها ، ليست كبيرة ولا صغيرة، والفارض العجوز التى انقطع نسلها ، والبكر التى لم تلد بعد، فهى وسط بين هذين الطرفين.

وقوله تعالى :

﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُون ﴾ تنبيه لهم أن ينتهوا عند هذا الحد، وألا يطلبوا وراء هذه الصفات صفات أخرى، ولكن يأبى القوم إلا أن يتعنتوا ويضيقوا على أنفسهم، ويلبسوا بقرتهم أثوابا لا ترى على كثير من البقر، فعادوا إلى موسى يسألونه : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ ، وفي كل مرة يقولون "ربك" ولا يقولون :" ربنا".

ويجيبهم رب العزة تبارك وتعالى إلي ما طلبوا " إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. ويتركهم إلى هذا المركب الخشن الذي اختارون لأنفسهم حتى يتبين لهم أنهم قد شددوا على أنفسهم بغير دا ع ينقضى ذلك.

ويعودون إلى موسى مرة أخرى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا ما هِي إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾

ويأتيهم الجواب من الله تعالى ، ليزيل من نفوسهم كل شبهة قد تدور فى رؤوسهم حتى لا يبقى لهم بعد ذلك شئ يسألون عنه.

قال : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ﴾ ، أى هى بقرة غير مذلله لحراثة الأرض وسقى الحرث، وهى مسلمة من العيوب لا يشوب لونها الأصفر الفاقع شائبة ، ولا يصيب أعضائها شئ.

وهنا يجد القوم أن بقرتهم قد لبست أوصافا لا تكاد تقع إلا فى القليل النادر، فيجدون فى البحث عنها، وهم سعداء بهذا اللهث المرهق وراءها، ويلقون إلى موسى بتلك الفرحة التى ملأت صدورهم قبل أن يعثروا عليها:

﴿ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ .. الآن فقط . ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أى أنهم لم يكادوا يجدون بقرة على تلك الصفة.

والقوم لما عبدوا العجل وخالط حبه قلوبهم أراد الله تعالى أن يكون كشف سر القتيل بذبح بقرة وضربه ببعضها حتى ينزع من قلوبهم حب العجل إذا ما ذبحوا عجلا بأيديهم. ولولا قولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون ، ما وفقهم الله لذبحها. ولقد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، ولو ذبحوا أى بقرة لكان لهم ما أرادوا ولكانوا قائمين بالأمر.

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ويضربون الميت ببعض لحم البقرة، فتعود إليه الحياة، وينطق باسم قاتله ثم يعود ميتا كما كان.

وتلازم الأسباب والمسببات مرهون بارادة الله تعالى وبقدرته حيث أن القتيل قام حيا بإرادة الله ومشيئته وقدرته.

ورغم رؤيتهم لهذه الآية تمادى القوم فى غلوهم وضلالهم وسوء ظنهم بموسى وبالأنبياء الذى أتوا بعده؟

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ أى هى أشد قسوة ، لا تقتنع من الخير.

قيل أنهم اشتروا البقرة من يتيم بملئ جلدها ذهبا فأكرمه الله بهذه الصفقة لأنه كان بارا بأمه فالله أعلى وأعلم.

قصة الذين خرجوا من ديارهم
فرارا من الموت

قال تعالى فى سورة البقرة:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾. [البقرة]

فهذه الآيات تحكى قصة قوم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت وهم جمع كثير جم غفير، قيل كانوا ستين ألفاً وقيل غير ذلك فى عددهم فأماتهم الله موتة رجل واحد عقابا لهم، وزجرا لمن يصنع صنيعهم، ثم أحياهم من بعد موتهم رحمة بهم، ليستكملوا أجالهم، وقد طوى الله تعالى ذكر نسب هؤلاء وبلدهم وعددهم.

ويقول المفسرون إنهم كانوا من بنى إسرائيل وأن نبيهم هو جزفيل عليه السلام.

وهؤلاء الناس على كثرتهم قد خرجوا من ديارهم خوفا على أنفسهم من الموت بالطاعون أو بأيدى عدوهم.

وللناس أن يخرجوا من بلد فيه وباء إلي بلد أخرى بشرط ألا تكون هذه البلد مسكونة بقوم أخرين حتى لا ينقلوا لهم العدوى قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم الطاعون بأرض فلا تدخلوا إليها ولا تخرجوا منهم.

والأرجح أنهم خرجوا فرارا من أعدائهم حيث أن الآية قد سيقت لبيان العبرة- إذ افتتحت بقوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَر﴾ أى ألم تنظر بعين بصيرتك متعظا بحال أولئك ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ ؟ فإن كنت لا تعلم بحالهم فنحن نحكى لك حالهم.

ولورود هذه القصة بين يدى ذكر القتال، فقد جاء بعدها قوله تعالى : ﴿وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾.

ولو كانوا قد خرجوا فرارا من الطاعون ما كان لقوله تعالى وهم ألوف فائدة إذ أن ذكر العدد يدل على جبن هؤلاء القوم وضعف هممهم، وخور عزائمهم، فقد دعاهم نبيهم حزقيال إلى الجهاد، فنكصوا على أعقابهم وكرهوا لقاء عدوهم، فخرجوا من ديارهم تاركين ما وراءهم للعدو وهم جمع غفير.

والراجح أنهم من بنى إسرائيل لأنهم عرفوا بالجبن فى مواطن كثيرة، فقد قالوا لموسى عليه السلام لما أمرهم بدخول بيت المقدس كما حكى القرآن عنهم ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) ﴾ [المائدة]

وقد أماتهم الله موت رجل واحد لقوله تعالى : ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أى حكم عليهم جميعا بالموت فى وقت واحد وبكلمة واحدة.

والفرار من الجهاد تهلكة ودمار، ومذلة ومسكنة وكبيرة من الكبائر. وفى الخوف من الموت موت معجل، لأنه يحطم القوى المعنوية عند الخائف،

ويعوقه عن الإقدام لحماية نفسه وحرماته، ويمكن عدوه منه بأى سبيل بل ومن غير قتال.

وهذه القصة قد ضربها الله تعالى مثلا للجبناء من ضعفاء الإيمان الذين يكرهون لقاء الله، ويؤثرون (يفضلون) السلامة فى مذلة على الحرب فى عزة.

وقد حذر الله تعالى الجبناء فى سورة البقرة فى آية سابقة حذرهم من عواقب التخلى عن القتال أو رغبتهم فى الجهاد بما يتبعه من استشهاد أو غنيمة فقال جل شأنه :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ [البقرة]

وغير ذلك من الآيات التى تحض على الجهاد وتحذر من الجبن والاستسلام لأعداء الإسلام.

قصة العزير

قال تعالى :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ [البقرة]

وهذه الآيات تروى قصة رجل مر على قرية خربة، فقال متعجبا : كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها؟! فأماته الله مائة عام فى مكان بعيد عن القرية، فلما بعثه أوحى إليه يسأله- وهو العليم بحاله- عن المدة التى لبثها نائما نومة الموت ، فقال : لبثت يوما أو بعض يوم. فأخبره ربه أنه لبث (مكث) ميتا مائة عام.

وجمهور المفسرين يقولون : إن هذا الرجل هو : (العزير بن حروه) ويقولن إن المراد بالقرية بيت المقدس، ويروون أن العزير رآها بعد أن خربها ملك كافر اسمه بختنصر ملك بابل سلطه الله تعالى على بنى إسرائيل بسبب عصيانهم وظلمهم وقتلهم للأنبياء. فسبى نساءهم وذراريهم (أبناءهم) واستولي على التوراة وضرب بيت المقدس. وأن نبيهم أرميا قد حذرهم ذلك قبل أن يقع فلم يصدقوه، وأن بختصر قتل من الرجال ألوفا ووجد دم يحيى

ابن زكريا عليهما السلام يفور فقتل عليه كما قيل سبعين ألفاً حتى سكن الدم.

وقصة العزير عليه السلام دليل على عظيم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم فى يوم لا ريب فيه.

ولم يكن العزير شاكا فى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكنه كان يسأل نفسه متأملا، وهو يعلم قدرة الله تعالى وعدله وحكمته وقدره إذ سلط على هذه القرية من شتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وضرب ديارهم. ومزقهم كل ممزق.

ويستيقظ الرجل من سباته العميق الذى استمر مائة سنة ليرى القرية آهلة بالسكان ، مليئة بالخيرات - فيسأله ربه - قبل أن يتوجه إليها ويلتقى بأهلها- عن مدة مكثه فى سباته، فيخبره الله تعالى بما لم يكن هذا الرجل يعلمه ، ويأمره الله عز وجل عن طريق الوحى أن ينظر فى طعامه وشرابه إنه كما هو يتسنه، أى لم يتغير عن حاله التى كان عليها منذ مائة عام.

وأمر فكان ينظر إلى حماره وهو عظام بالية وقد نظر العزيز إلي حماره أو إلى بقايا حماره فرأى العظام يعاد تركيبها على النحو الذى كان عليه ، وإتمام خلقه. وإبراهيم عليه السلام قبل العزيز قد شاهد الطيور وهى تأتى إليه سعيا بعد أن ذبحها وقطعها وفرقها.

فلما رأى العزير هذه الآيات نطق وشهد: أعلم أن الله على كل شئ قدير.

وكان العزير يحفظ التوراة، ولم يكن في قريته من يحفظها، فلما التقى بهم وأخبرهم أنه العزير أنكروه، وقالوا: إن العزيز قد مات منذ مائة عام أو أكثر- فأخذ يعرفهم بنفسه حتى عرفوه، وقيل إن إم أمه كانت على قيد الحياة وكانت لا تبصر ، فلما دخل عليها ولمسته بيديها عرفت أنه ولدها.

فالتف حوله أهل القرية وأجلوه وعظموه وتعلموا منه الكثير من العلم، وتلقوا عنه التوراة مشافهة، ولكن اليهود قوم لا تخلص عقيدتهم من شبهات، فقد زعم بعضهم : أنه ابن الله، وتكلفوا فى تعظيمه حيا وميتا. ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة]

وقد روى المفسرون أن عزيرا كان عبدا صالحا حكيما خرج ذات يوم إلى ضيعة له يتعاهدها، فلما انصرف آتى إلي خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر ودخل الخربة وهو على حماره ، فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل فى ظل تلك الخربة وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذى كان معه فى القصعة، ثم أخرج خبزا يابسا معه فألقاه فى تلك القصعة فى العصير ليبتل ليأكله، ثم استلقى على قفاه واسند رجليه إلى الحائط، فنظر سقف تلك البيوت ورأى مافيها، وهى قائمة على عروشها وقد باد أهلها، ورأى عظاما بالية فقال : " أنى يحيى هذه الله من موتها فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبا، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فأماته الله مائة عام، فلما أتت عليه مائة عام وكانت فيما بين

ذلك فى بنى إسرائيل أمور وأحداث قال : فبعث الله إلى عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل قلبه، وعينيه لينظر بهما، فيعقل كيف يحيى الله الموتى، ثم ركب خلفه وهو ينظر ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد، ثم نفخ فيه الروح كل ذلك وهو يرى ويعقل، فاستوى جالسا، فقال له الملك: " كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم، وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث فى آخر النهار والشمس لم تغب، فقال : أو بعض يوم" ولم يتم لى يوم ، فقال له الملك : " بل لبثت مائة عام فانظر إلي طعامك وشرابك، يعنى بالطعام : الخبز اليابس، وبشرابه: العصير الذى كان اعتصره في القصعة فإذا هما على حالهما لم يتغير العصير والخبز يابس، فذلك قوله " لم يتسنه" يعنى لم يتغير وكذلك التين والعنب غض لم يتغير شئ من حالهما، فكأنه أنكر فى قلبه، فقال له الملك : أنكرت ما قلت لك " انظر إلى حمارك فنظر إلي حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك، وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك ، فقام الحمار رافعا رأسه وأذنيه إلي السماء ناهقا يظن القيامة قد قامت، فذلك قوله ﴿انظر إلي حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ﴾ يعنى وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضا فى أوصالها : حتى إذا صارت عظاما مصورا بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحما" فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير، من إحياء الموتى وغيره، قال : فركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس، وأنكر الناس، وأنكر منزله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله، فإذا هو

بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة، وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابها الزمانة، فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟ فقالت : نعم هذا منزل عزير، فبكت وقالت : ما رأيت أحدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد نسيه الناس، قال : فإنى أنا عزير كان الله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى، قالت : سبحان الله فإن عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر، قال : فإنى أنا عزير، قالت : فإن عزيرا رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادع الله أن يرد على بصرى حتى أراك فإن كنت غزيرا عرفتك ، قال : فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا، وأخذ بيدها وقال : قومى بإذن الله فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت فقالت : أشهد أنك عزير، وانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالهم وأن العزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة، وبنى بنيه شيوخ فى المجلس، فنادتهم فقالت : هذا عزير قد جاءكم، فكذبوها فقالت : أنا فلانة مولاتكم دعى لى ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى، وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه، قال : فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظرو إليه فقال ابنه : كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه؟ فكشف .عن كتفيه فإذا هو عزير. فقالت بنو إسرائيل : فإنه لم يكن فينا أحد حفظ للتوراة فيما حُدثنا غير عزير، فاكتبها لنا وكان أبوه سروخا قد دفن التوراة أيام نُجت نصَّر فى موضع لا يعرفه أحد غير عزير، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراه، وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب.

قال : وجلس فى ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله فجدد لهم التوراة، ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه فتذكر التوراة فجددها لبنى إسرائيل؟ ثم قالت اليهود (عزير ابن الله) للذى كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بنى إسرائيل ، وكان جدد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزفيل، والقرية التى مات فيها يقال لها : سايرا باد . وقد اختلف فى العزير أهو نبى أم لا المشهور أنه نبى من أنبياء بنى إسرائيل قال وهب بن منبه : أمر الله ملكا نزل بمعزفة من نور فقذفها فى عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها.

قصة
صاحب الجنتين
وأصحاب الجنة

قصة صاحب الجنتين
وأصحاب الجنة

قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ [الكهف]

هذه الآيات تروى قصة رجلين ، أحدهما كافر قد أبطرته نعمة المال ففرح بها وتكبر وبغى وظلم، فكان من الخاسرين والآخر رجل مؤمن بالله، يحب الآخرة، ولا يتعلق قلبه بالدنيا، قد رزقه الله القناعة والرضا . أدى اجبه

فى نصح صاحبه إلي الإيمان بالله وتوحيده وشكر نعمته وبذل حق المال للفقراء فأبى وعاند، ورفض يقول الله مفتراً بحاله معتزا بولده.

فحذره المؤمن عاقبة الكفر والجحود، فأنزل الله تعالى وصاعقة من السماء أحرقت بساتينه ولم ينفعه صديق ولا ناصر ولا ولد ولا جاه فليس لأمر الله دافع ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

فى هذين المثلين عظة وعبرة أحد المثلين لكافر والآخر لمؤمن.

كان الكافر يعتز بماله وولده وجاهه وكثرة أتباعه وقوته وسلطانه، وينكر البعث والنشور ويكذب بالقيامة، يكفر بالذى خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلا. ولم يتحول عن كفره وضلاله رغم إسداء النصح له وبيان وجه الحق فى العقيدة والسلوك، فأصر واستكبر ومنع حق السائل والمحروم بل سخر من الفقراء والمساكين ومنهم قريبه المؤمن الفقير وزعم أنه مستحق لهذا الثراء والغنى والبساتين والثمار والأولاد والسلطان وأن هذا حق خالص له لا يزول ولا يتحول وقال لو فرض أن الساعة قامت ولو فرض أنه رد إلى ربه وبعث بعد موته فسيجد عنده أعظم من ذلك وأكثر وكأنه أخذ على ربه عهدا بذلك أو أنه يحدد مصيره بنفسه وعلى الرغم من كفره.

أما الآخر فكان مؤمنا بربه واثقا من فضله متمسكا بعقيدته، يطلب مرضاته، ويؤدى ما عليه من واجبات الحمد والشكر لله معترفا بنعمه قانعا برزقه ، لا يحسد غيره، ويرى المال عرضا زائلا، وأن ما عند الله خير وأبقى، يؤدى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويدعو إلى الله على

بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، يذكر الكافر بمبدأ خلقه، ويؤنبه على كفره، ويذكره بعاقبة جحوده، ويخوفه عقاب الله فى الدنيا والآخرة، وينبهه إلى إمكان زوال ماله ونقله من الغنى إلي الفقر، مذكرا إياه بقدرة الله تعالى وانتقامه وبطشه، ويدعوه إلى حمد الله وشكره، وأن مافيه من نعمة فمن الله، وليست من قبل نفسه، يحاوره محاورة هادئة، ويجادله بالتى هى أحسن.

وهذان الرجلان كانا من بنى إسرائيل وهما أولاد عم، كان صاحب الجنتين لا يعطف على الفقراء بينما صاحبه يخرج الصدقات والزكوات فكان صاحب الجنتين يوبخه ويلومه على سخائه وكرمه ويعيره بأنه أكثر منه مالا وولدا، ويزعم أن ماله باق لا يزول لأنه لا يعطى منه فقيرا ولا مسكينا .

وهذا المثل مضروب لكفار مكة خاصة ولمن كان علي مثالهم ويعمل عملهم. فقد كانوا يفخرون على المؤمنين بكثرة أموالهم وأولادهم، وينكرون البعث، ويعيرون الفقراء بفقرهم ويستقذرونهم، ويتكبرون عليهم وينفرون من مجالستهم ويمنعون حقهم فى الصدقة والزكاة.

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) ﴾ [سبأ]

وكانوا يقولون كما حكى عنهم القرآن فى سورة يس : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٤٧) ﴾ [يس]

وكما حكاه القرآن فى سورة الفجر: ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) ﴾ [الفجر]

وكما قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) ﴾ [يس]

والآيات فى ذلك كثيرة.

وكان مشركو مكة يطلبون من النبى ﷺ أن يجعل لهم يوما ولهؤلاء الفقراء يوما. لكن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يصبر نسه مع هؤلاء الفقراء المخلصين المتقين.

قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف]

كان الكافر قد وهبه الله جنتين من أعناب، محفوفتين بسور من النخيل تتوسطهما الزروع والثمار، ويتفجر من خلالهما نهر يجرى بينهما فى منظر خلاب (جذاب) وأجمل شئ فى الدنيا الماء والخضرة، فضلا عن أن هاتين الجنتين (البساتين) تطرح ثمارها كاملة غير منقوصة، فجمع له الرزق الوفير مع جمال المنظر وطيب الهواء ، مع وفرة المال وكثرة الأولاد

والأتباع فجمع له بين الضروريات والكماليات وحيزت له الدنيا بحذافيرها. فلم يكن من الشاكرين.

وفي يوم كان الرجل المؤمن عند قريبه صاحب الحديقتين ودار بينهما حوار فقال له أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، ثم دخل جنته يهتز خيلاء وفخرا. وقال ما أعتقد أن هذه الجنة تهلك أبدا وما أظن أن القيامة تقوم كما تدعى، ولو فرض أنها قامت ورجعت إلى ربى كما تزعم لأجدن خيرا منها فى آخرة أمرى ولدى عودتى لربى. قال قريبه المؤمن أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا؟

وكل منا يعتبر مخلوقا من تراب باعتبار أن أبانا آدم عليه السلام خلق من تراب وحملنا فى ظهره فى هيئة ذرات أو ذرارى صغيرة فيها خصائصه وهيئته وتكوينه فكل إنسان منا يحمل خصائص التراب والطين، وفى أجسادنا وتكويننا المعادن نفسها التى توجد فى التراب ، كما أن ذرية آدم خلقوا من نطفة وهى سائل يحمل ميكروبات منوية تزيد عن خمسة ملايين حيوان منوى فى السنتيمتر المكعب. ويصنع هذا السائل فى خصية الرجل ثم يمتزج بماء المرأة الذى ينزل من عظام الرقبة كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾ [الطارق]

والإنسان الذى يتكبر لو تفكر فى بداية أمره ونهايته لما تعالى وتكبر. فهو خلق من ماء مهين ، وخرج من مجرى البول مرتين وأصل تكوينه من ميكروب يسمى الحيوان المنوى، خرج هذا الإنسان من مجرى البول لأبيه

وأمه ثم كان ضعيفا لا حول له ولا قوة لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يعلم شيئا كما قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾.

ثم تحولت هذه النطفة المخصبة إلى علقة (قطعة من الدم) ثم مضغة كقطعة اللحم ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم صار خلقا آخر، وتكون فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

كما قال تعالى : ﴿ يخلقكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ﴾.

وكما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ [المؤمنون]

ثم قال : لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا أى ولكن أنا أشهد أن الله ربى لا أعبد غيره وأتخذ إلها سواه.

ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله. أى كان أولى بك عندما تدخل جنتك أن تقول ما شاء الله أى هذا ما أراده الله فهو من نعمته وفضله لا قوة إلا بالله هو وحده صاحب القوة وهو الذى يمنحها من يشاء ويمنعها عمن يشاء.

إن ترى أنا أقل منك مالا وولدا. فعسى ربى أن يوتين خيرا من جنتك

أى ربما أعطانى الله خيرا من حديقتك التى تغتر بهما فكم من غنى افتقر بعد غنى وكم من فقير اغتنى بعد فقر وليس الغنى لك بحق مكتسب ولكنه ظل زائل وعارية (وديعة) مسترجعة.

وكلمة عسى تفيد الترجى. كما أرجو ربي أن يرسل على جنتك حسبانا (صاعقة) تنزل بحساب أي تخص جنتك فتحرفهما فتصبح طينا غارقا فى الماء لا زرع فيه ولا شجر، أو يغور ماؤها أى يغوص في الأرض فلا تستطيع استخراجه لرى الزروع والثمار.

أخا الإسلام :

يجوز أن يحسد المؤمن الكافر بمعنى أن يتمنى زوال نعمته عنه إذا كانت هذه النعمة سببا لكفره وجحوده وكبره وظلمه مع اقترانها بمنع حقوق الفقراء ، مع عدم الاعتراض على الله سبحانه وتعالى أما الحسد المحرم فهو تمنى زوال النعمة عن المؤمن والاعتراض على الله تعالى فى قسمه وعطائه.

ثم ترك المؤمن قريبة الكافر واعتزله، فاستجاب الله دعوته وأرسل صاعقة من السماء أحرقت زرعه وثماره وأشجاره وغاص ماء النهر فى الأرض بحيث لا يستطيع استخراجه أو الانتفاع به.

وقوله تعالى وأحيط بثمره أى أهلك ودمر وحرق. يقال أحاط فلان بفلان أى قاتلة وهزمه.

فأصبح الكافر يقلب كفيه حسرة وندما وحزنا وألما على ما أنفق فى

جنته من أموال وهى خاوية على عروشها أى أن أشجارها أصبحت خالية من الثمار والأعناب ، وصارت جزوعا محترقة.

ومعلوم أن المزارع ينفق أموالا طائلة على البذور والشتلات وشق الترع والمصارف وشراء الآلات وأجور العمال الذين يزرعون ويحصدون وغير ذلك من النفقات ، وبذلك فقد ما أنفقه وما طرحه البستان من زروع وثمار وأعناب ونخيل.

ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا. وليت تستعمل للتمنى أى ندم على إشراكه بالله وجحود نعمته. الذى أدى إلى تحويل الجنة المثمرة إلى خراب وسواد لا يسر الناظرين.

ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان منتصرا.

أى لم ينفعه أولاده ولا أتباعه ولم يمنعوا عنه نقمة الله وعقابه فوقف يتعجب وهو ملوم محسور ، وتذكر نصيحه ابن عمه المؤمن وعرف أنه أخلص له النصيحة فلم يستجب له فدعا عليه وأجيبت دعوته فلم ينصر الكافر نفسه ولم يمنع عنها ما نزل بها من الأهوال ولم ينصره غيره ممن كان يعتز به ويركن إليه.

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا.

أى أن الولاية (النصرة) من الله الحق والحق هو الشئ الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل. والله خير ثوابا وخير عاقبة يثيب من أطاعه وآمن به ويجعل أخرته الحسنى (الجنة) ويجعل أمره يسرا.

أصحاب الجنة

قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [القلم]

هذه القصة التى ساقها القرآن بمثابة عظة واعتبار لمشركى مكة ومن على شاكلتهم كما وقع فى قصة صاحب الجنتين . ليراجعوا أنفسهم.

قيل إن هذه القصة وقعت فى اليمن قبل عيسى عليه السلام أو بعده فى قرية يقال لها مزوان قرب صنعاء.

كان رجل صالح له جنة مثمرة ، وكان لهذا الرجل ثلاثة أولاد، وكان الرجل يؤدى حق الله تعالى فى جنته فيخرج منها زكاة الثمار والحبوب. فلما مات ورثه أبناؤه الثلاثة وكان فيهم فتى صالح، دعاهم أن يستمروا كما كان أبوهم يعطى الفقراء والمساكين، غير أنهم نهروه وهددوه وأجبروه على

أن يتعاهدمعهم على منع الفقراء والمساكين عن الجنة وأن يحصدوها في الصباح الباكر قبل أن يرى المساكين حصادها ويحضروا لأخذ نصيبهم.

وأقسموا على ذلك، وهو كاره لاتفاقهم وعزمهم. وبينما هم نائمون طاف على الجنة طائف من ربهم فأحرقها، فلما أصبحوا نادى بعضهم بعضا، فلما اجتمعوا انطلقوا إلى جنتهم ليقطعوا ثمارها، وهم يتخافتون أى يتكلموا بصوت خافت مخافة أن ينتبه الفقراء والمساكين، وتواصوا ألا يدخلها اليوم عليهم مسكين. فلما انتهوا إليها ظنوا أنهم قد ضلوا طريقها، لأنهم وجدوا أشجارها محترقة. ولكنهم لما تفكروا، أدركوا أنها جنتهم وأنهم أخطأوا وأجرموا، واعترفوا بخطئهم، وعاتبهم أخوهم الصغير على عدم قبول نصحيته، فندموا واعتذروا، وطلبوا من ربهم أن يبدلهم خيرا منها وألحوا فى الدعاء وتضرعوا نادمين إلي ربهم، فقبل الله اعتذارهم وتوبتهم. ثم تختم الآيات بتحذير البخلاء وما نعى الزكاة أن عذاب الله فى الآخرة أكبر وأشد لو كانوا يعلمون.

كما قال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقوها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾.

وكما جاء فى الحديث عن مانعى الزكاة أنهم يعذبون بشجاع أقرع (ثعبان أبيض رأسه من كثرة السم) . كما جاء فى حديث آخر عن مانعى الزكاة أن إبلهم ومواشيهم تنطحهم بقرونها وتطأهم بأظلافها وتعضهم

بأسنانها حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ثم يؤمر بهم إلى الجنة أو النار.

وقوله تعالى : ﴿ولا يستثنون﴾ أى لا يستثنون أحدا من الحرمان والمنع. وقوله : ﴿فطاف عليها﴾ طاف أى بمجرد عزمهم وقسمهم على أن لايدخلنها اليوم عليهم مسكين طاف الطائف على الحديقة لأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب أى الفورية. فكان الجزاء من جنس العمل. وقوله ﴿صارمين﴾ أى قاطعين الثمر. يتخافتون أى يتهامسون.

وغدوا على حرد قادرين . الحرد: القصد والمنع ، والعزم والغضب. أى مضوا مبكرين على تحقيق قصدهم ونيتهم.

وقوله: ﴿كالصريم﴾ أى كالليل البهيم المظلم وهو السواد الناتج عن الاحتراق. وقوله : ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾

أى : ألم أقل لكم هلا تذكرون الله فى هذه النعمة، وتشكرونه عليها، فتقومون بأداء حق عباده فيها. وذلك لأن الشكر هو استخدام النعم فيما خلقت له.

وهكذا تحول أصحاب الجنة إلى فقراء لاستهانتهم بالفقراء ومنع حقهم وعدم مواساتهم، وحرموا لذة العطاء وسعادة البذل والسخاء حتى دعوا على أنفسهم بالهلاك ثم ندموا وتابوا ودعوا ربهم أن يعوضهم خيرا منها بعد أن تلقوا درسا هائلا لا ينسى ولا يمحى من الذاكرة.

وهكذا تكون العبرة لكل من تسول له نفسه حرمان الفقراء والبخل

بمال الله على عباد الله ومنع حقوقهم وجحد نعم الله وآلائه، واحتقار الفقراء ونسيان آلامهم.

فالمال ظل زائل ووديعة مسترجعة. قال تعالى : يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى (يضيق).

ورغم أن كثيرا من العرب قبل الإسلام كانوا يتصفون بالكرم كما كان شأن حاتم الطائى وعبد الله بن جُدعان وعبد المطلب جد النبى ﷺ وغيرهم. إلا أن كثيرا منهم أيضا كان يتصف بالبخل والشح واحتقار الفقراء فلا يكرمون اليتيم ولا يحاضون على طعام المسكين فنزلت قصة أصحاب الجنة وصاحب الجنتين ليعتبروا بحالهم ويدركوا أنه ليس ببعيد ولا ممتنع على قدرة الله تعالى أن يفعل بهم مثل ما فعل بغيرهم. وقد حدث ذلك فعلا لقريش عندما دعى عليهم الرسول ﷺ وقد اشتد أذاهم له ﷺ فقال : "اللهم عليك بقريش اللهم أشدد عليهم واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف" فقحطوا ومنع عنهم المطر حتى أكلوا الجيف والكلاب. وأتوا رسول الله ﷺ ليدعوا لهم أن يرفع الله عنهم القحط والبلاء ففعل ﷺ.

قصــة
طالوت وداود
عليه السلام

قصة طالوت وداود

قال تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾ [البقرة]

هذه الآيات الكريمة تروى قصة قوم جبناء من بنى إسرائيل تقاعسوا (تكاسلوا) عن الجهاة فى سبيل الله، رغم أن عدهم كان كافرا أخرجهم من ديارهم وسلب أموالهم وسفك دماء رجالهم وسبى نساءهم وأبناءهم فلما اشتد الأمر عليهم راجعوا أنفسهم ورأوا أن يطلبوا من نبيهم أن يسأل الله تعالى أن يعين لهم ملكا قويا ذكيا عالما بفنون الحرب والإدارة يقودهم إلى النصر على عدوهم ويقاتلوا تحت قيادته.

فما كان من نبيهم شمويل عليه السلام إلا أن تخوف عليهم وقوع العذاب بهم إذا نقضدوا عهدهم وتخاذلوا عن القتال مع من يختاره الله تعالى. فهم قلة، لعلمه بجبنهم وسوء طباعهم وفساد ضمائرهم لأنهم كانوا

من قبل قد اعتادوا حياة الذل والعبودية تحت قهر فرعون وملأه.

وأخبرهم نبيهم شمويل بما يعتمل (يتردد) فى صدره ، فادعوا الشجاعة، وأظهروا له قوة من أنفسهم ، محتجبين برغبتهم الأكيدة فى أخذ الثأر من عدوهم الذى أذلهم وأهانهم وطردهم وسبى نساءهم وأبناءهم. وهو جالوت وجنوده من الكنعانيين، الأشداء والجبابرة، المتصفين بقوة الأجسام والشجاعةوالجرأة.

فلما أبدوا هذا العزم والتصميم، دعا الله سبحانه وتعالى أن يختار لهم من بينهم ملكا، وما كاد نبيهم يخبرهم بأن الله عز وجل قد اختار لهم "طالوت" ملكا حتى اعترضوا عليه، وأظهروا تعجبهم من اختيار الله لمثل هذا الرجل لقيادتهم، وهو ليس من نسل يهوذا، ولم يرث سعة من المال أى كان فقيرا. وتناسوا أن الله تعالى قد اصطفاه (اختاره) عليهم، وهو صاحب الجسم القوى والعلم الواسع، وكان اسمه "شاول" وإنما لقبوه بطالوت لطول جسمه، وهو رجل حكيم عليم بتدبير شئون الملك والحرب والسياسة، ولا راد لقضاء الله وحكمه وهو سبحانه العليم بما يصلح عباده لحكم فى أمره ونهيه".

وقد طلب القوم من نبيهم علامة تدل على أن الله عز وجل قد اختاره وسلكه عليهم، فأيده الله تعالى بمعجزة - وهى الأمر الخارق للعادة - وكانت تلك الآية أن الملائكة تأتى بالتابوت الذى كانوا يقدمونه أمامهم فى معاركهم ليستنصروا به على عدوهم لما فيه من بركات موسى وهارون عليهما السلام، فقد كان فيه كما قال المفسرون والمؤرخون : نعل موسى عصاه

وشئ من ألواح التوراة ، وشئ من متاع آل موسى وآل هارون. وقيل أيضا أنه كان فيه قطة تصرخ صرخة هائلة تفزع أعداء بنى إسرائيل فيولون هاربين فزعين منهزمين.

أخا الإسلام :

التبرك المشروع وغير المشروع:

التبرك بأشياء معينة يكون توقيفياً أى منصوص عليه من الشرع ولا يجوز أن يبتدع الناس أشياء يتبركون بها غير ما نص عليه الشرع الحكيم فتبرك بنى إسرائيل بالتابوت كان جائزا فى شرعهم وقد حملته الملائكة إليهم وأسلمته إلى طالوت كآية على ملكه.

والتبرك بآثار النبى ﷺ كان جائزا فى حياته، أما بعد وفاته فلا يجوز، وذلك لسد أبواب الشرك.

أيضا التبرك بمقام إبراهيم أى الموضع الذى كان يقوم فيه على الحجر ليرفع القواعد نص الشرع على جوازه بل استحبابه فى قوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾.

وعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . لما أراد أداء صلاة الاستسقاء طلب العباس عن النبى ﷺ يتبرك بدعائه بينهم ولم يتبرك بالقبر النبوى الشريف.

وما يفعله كثير من الجهال من التبرك بالقبور ودعاء المقبورين من دون الله والطواف حول هذه القبور والنذر لأصحابها والذبح لها وغير ذلك من

العبادات تعتبر من الشرك الذى يخلد صاحبه في النار والعياذ بالله لأن الطواف عبادة لا تجوز الا حول الكعبة وكذلك النذر والدعاء والذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وهذه المسائل يرجع فيها إلى الكتب التى تشرح وتوضح عقيدة أهل السنة والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

وكان هذا التابوت (الصندوق) قد سلب منهم في إحدى المعارك، فأثر فى عزائمهم، وأحزنهم وأدخل اليأس فى قلوبهم، ونسوا أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى وأن التابوت لا يؤثر بذاته.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) ﴾ [البقرة]

أخذت الملائكة تابوت العهد من أيدى العماليق إلي الأرض التى فيها شمويل أو صمويل كما تسميه بنو إسرائيل، وقد رآه القوم بأعينهم بين السماء والأرض يهبط مستقرا فى مكانه الذى كانوا يحفظونه فيه، فعلموا حينئذ صدق نبيهم، ومع ذلك فإنهم تباطأوا عن الخروج مع طالوت حين دعاهم للقتال، فلم يخرج معه إلا القليل منهم.

قال تعالى :

﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ﴾ مع أن طالوت قد أذن لكل صاحب حاجة أن يتخلف ويتفرغ لحاجته بلا حرج فقال:

من أراد أن يبنى دابرة فليبنها، ومن كان يريد أن يحصد زرعه فليحصده، ومن كان له أب يرعاه أو أم يكفلها أو أبناء يعولهم فلا يخرج معنا إن شاء. وذلك لعلمه بما جبلوا عليه من حب البدعة والكسل واتصافهم بالجبن والذل والمسكنة التى لبثوا فيها زمنا طويلا.

وخرج طالوت من فضل الخروج ابتغاء مرضاة الله أو لدنيا يصيبها، وهو يعلم بحالهم، فأراد أن يختبرهم ليميز المخلص الذى خرج يقاتل فى سبيل الله لنصرة دينه وطمعا فى ثوابه، ومن خرج يبغى الغنائم والشهرة. فقال لهم : إن الله عز وجل سيختبركم بنهر تجدونه أمامكم وأنتم عطشى فمن شرب منه حتى يرتوى فليس منى ولا يقاتل معى ومن لم يرتو منه فهو منى ولكن من اكتفى بغرفة (ملئ اليد) دون أن يرتوى فلا اثم عليه. وذلك ليتبين أصحاب العزم (الجلد والقوة) والصدق والصبر ممن تخور عزيمته ولا يصبر.

وكان أن شرب أكثر القوم إلا قليلا منهم قيل كانت عدتهم - عدة الذين لم يرتوا - كعدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاث عشر رجلا. فلما جاوزا النهر معه، ورأوا جالوت قائد العمالقة وملكهم ورأوا جنوده وعددهم وعدوهم وقد عسكروا بالقرب منهم، فزع أكثرهم وطار صوابهم. وفقدوا توازنهم وارتجفت قلوبهم واضطربت عقولهم فقالوا لملكهم. إننا أمام عدو لا طاقة لنا بقتاله، ولا قدرة لنا على مواجهته، فارجع بنا ولا تعرضنا للهلاك.

وقال القليل منهم - وهم الذين لم يشربوا من النهر - بل نقبل على قتالهم، معتمدين على ربنا، واثقين بفضله، مستنصرين به، صابرين لأمره، فهو القادر على نصرنا مع قلة عددنا وعدتنا.

ويرزوا لجالوت وجنوده، وهم يتضرعون بخالص الضراعة وصادق الدعاء، فنصرهم الله على أعدائهم، وهزم عدوهم. وكان طالوت قد أعلن أنه من يبارز جالوت ويقتله يشركه فى ملكه ويزوجه ابنته، فقد كان جالوت يتحدى ليخرج أحد لمبارزته وكان قويا شجاعا خبيرا بالحرب، فبرز اليه شاب شجاع لا يخشى إلا الله،لا يهاب جالوت ولا يخيفه سطوته وشدة بأسه.

داود عليه السلام :

كان هذا الشاب الجرئ هو داود عليه السلام، وقد آتاه الله الملك والنبوة فيما بعد، بارزه بسلاح متواضع -الحجارة- ثلاثة أحجار نادته ياداود خذنا فإنك تقتل بنا جالوت، فألقى عليه داود الأحجار بالمقلاع فأصابته فى رأسه إصابات قاتلة وقُتل جالوت كما يقتل الكلب العقور.

يقول رب العزة تبارك وتعالى :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ

وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾ [البقرة]

وداود عليه السلام هو داود بن يسّى من آل يهوذا بن يعقوب، توجه إليه صمويل فمسح رأسه وهو عند أبيه فى بيت لحم، ووعد أباه أن ولده هذا– وهو أصغر أبنائه– سيكون ملكا على بنى إسرائيل بعد حين.

وقد نال داود عليه السلام إعجاب طالوت (شاول) وحظى عنده بالحب والمكانة السامية، وكان داود يعمل برعى الغنم، وكان ماهرا فى رمى القلاع. وكان شجاعا مقداما.

ولما دعا جالوت إلى المبارزة لم يستجب له أحد من جند طالوت إلا داود عليه السلام فإنه قال له أنا أبارزك ، فاستضعفه واستخف به لما رأى فى يده المقلاع، فرماه داود بالمقلاع، فوقع مغشيا عليه فهجم عليه داود فى سرعة خاطفة فحز رأسه وألقاه بين يدى طالوت. فازداد حبا له وعظم أمره فى بنى إسرائيل ، وزوجه طالوت ابنته ميكال".

وقد ادعى اليهود على طالوت أنه حقد على داود عليه السلام وشرع فى قتله بينما طالوت كان رجلا صالحا عالما اختاره الله ليملكه على بنى إسرائيل وهكذا شأن اليهود يتجنون ويفترون الكذب على أنبيائهم وصاليحهم قاتلهم الله.

أخا الإسلام:

ونخلص من هذه القصة أن من حرص على الموت توهب له الحياة

وأن الجبن والتقاعس عن قتال أعداء الدين يؤدى إلى ضياع الأرض وهتك الأعراض وسبى النساء والأطفال ونهب الأموال وإذا كان الجبان يحرص على ماله بالقعود عن الجهاد فإن العدو يتسلط عليه ويسلب منه المال وإذا كان يضن (يبخل) بالحياة فإن العدو يسلبه الحياة بجبنه وتخاذله.

وأن الجهاد فى سبيل الله هو فريضة من أعظم الفرائض وواجب من الزم الواجبات التى فرضها الله على عباده المؤمنين لحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

وأن المؤمنين لا ينتصرون بالعدد والعدة وإنما ينتصرون بفضل إيمانهم وصبرهم وطاعتهم لقائدهم والتوكل على الله واجتناب المعاصى. وإن كانوا مطالبين فى نفس الوقت باعداد القوة لردع عدوهم.

قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾.[الأنفال]

قصة داود - عليه السلام - والخصمين

يقول الله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) ﴾ [سورة ص]

نُبيء داود عليه السلام وآتاه الله فضلا عظيما وأيده بمعجزات باهرة.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾ [سبأ].

فكان داود عليه السلام يصنع الدروع للمحاربين ويتكسب من هذا العمل والآن الله تعالى له الحديد حتى صار بين يديه كالعجين، وأمره أن يقدر فى السرد. بمعنى أن يحكم تقدير أماكن المسامير.

وكانت الجبال تسبح معه والطير، فكان الناس يسمعون الجبال والطير يرجعون معه التسبيح.

جاءه رجلان من الرعاة اختصما فى نعجة كانت لأحدهما لا يملك سواها، والآخر كان يملك تسعا وتسعين نعجة. فطلب منه نعجته الوحيدة ليضمها إلي نعاجه، فيرعاها له بأجرة أو يشتريها منه، وألح عليه حتى أحرجه وضيق عليه، فلم يجد خلاصا من هذا الضغط إلا أن يشكوه إلي الملك النبى داود عليه السلام ، لعله يجد عنده مخرجا.

جاء هذان الرجلان ومع كل منهما رجال من عشيرته إلى مقر الحكم، فلم يجدوا داود عليه السلام، فسولت لهم أنفسهم أن يقتحموا عليه محرابه.

وكان هؤلاء الرجال من الرعاة البدو الجفاة ففعلوا ذلك دون أن يقدروا العواقب ويراعوا حدود الأدب. فلما دخلوا عليه فزع منهم لأنهم دخلوا عليه من حيث لا يشعر، ومن غير استئذان، ومن غير إذن فى الدخول ، وفي وقت لا يتوقع فيه دخول أحد وهو مستغرق فى العبادة، ولم يكن معتادا أن يقتحم أحد عليه خلوته فلما رأوا فزعه قالوا : لا تخف، نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتحكم بيننا بالحق حكما لا شطط فيه- أى لا ظلم فيه ولا مضرة ولكن تهدينا إلي الصراط السوى فى آداب المعاملة والمخالطة والمطالبة وغير ذلك مما نحن في حاجة إلى معرفته.

وأخذ المدعى يعرض قضيته ، فقال : إن هذا أخى .. فسماه أخاه ولم يسمه خصما رغم غضبه عليه.

قال: إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة لا أملك سواها، فاستكثرها على، وطلبها فى جفوة وغلظة، وأنا أرجو أن أضم إليها أخرى وهو لايريد أن يعطينى هذه الفرصة، إنما يريد أن ينحنى عن المرعى ليخلوا له وحده، وألح على فى الطلب ، وشق على إلحاحه ، فجئناك لتحكم بيننا بحكم الله تعالى لعل أخى يتركنى وشأنى.

واستمع داود عليه السلام لقول المدعى، واستمع أيضا لقول المدعى عليه، ثم حكم بقوله : ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلي نعاجه... ﴾الآيه.

وشفع حكمه ببيان حال الناس فى المخالطة إذا فقدوا الإيمان فإن المؤمن يرفض أن يبغى على أخيه.

فلما خرج الخصمان من عنده فكر فى أمر الوقت الطويل الذى يعتزل فيه الناس للعبادة ورأى أن يخصص وقتا أكبر للفصل فى الخصومات وتعليم الناس ورعاية شئون الدولة.

وذكر أن هؤلاء الأعراب كانوا معرضين للقتل من الحراس بسبب طول اعتزال الناس فراجع اجتهاده واستغفر ربه ورجع إلى الطريق الأمثل بتخصيص وقت أطول للرعية.

وقد غفر الله له خطأه فى الاجتهاد، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق أى يستمر على قول الحق وفعله والعمل به حذره من اتباع الهوى الذى

يضل عن سبيل الله، ثم حذر الله تعالى من يضل عن سبيل الله بأن له عذاب شديد بسبب نسيانه يوم الحساب.

والخطاب للأنبياء خطاب لأممهم إلا ماكان يحمل معنى التخصيص كقوله تعالى : ﴿ إنا جعلناك خليفة فى الأرض ﴾ فليس كل الناس خلفاء وحكام وملوك وأنبياء.

أخا الإسلام:

وقد رمى بنو إسرائيل نبيهم داود عليه السلام بأن فتنتة كانت تطلعه إلى امرأة قائده جوريا وإرساله للحرب ليقتل ويتزوج بامرأته وهذا كذب وافتراء على مقام الأنبياء وعصمتهم لأن الأنبياء أكمل الخلق وأفضلهم عند الله، معصومين من الخطأ والوقوع فى الحرام لا يرتكبون الكبائر ولا الصغائر وإنما خطئهم يكون فى بعض الأمور الاجتهادية التى لا تحلل حراما ولا تحرم حلالا وصاحبها معفو عنه وله أجر الاجتهاد مادام أهلا للاجتهاد.

حكمه فى الحرث الذى نفشت فيه غنم القوم:

يقول تعالى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾ [الأنبياء]

هاتان الآيتان ترويان قصة أخرى وقعت لداود عليه السلام. إذ دخل عليه فى مجلس قضائه رجلان أحدهما صاحب زرع ، والآخر صاحب غنم، فشكا صاحب الحرث صاحب الغنم وقال فى شكواه : إن غنم هذا قد انطلقت ليلا ترعى فى حرثى فأفسدته، فاحكم بيننا فى هذه القضية.

ومعلوم أن أصحاب الغنم والبقر والجمال يجب عليهم حفظ أنعامهم ليلا لأنه من غير المعتاد أن تسرح الأنعام ليلا والناس يأمنون إفسادها فى الليل ويتحرزون منها بالنهار.

وحكم داود عليه السلام لصاحب الزرع بالغنم تعويضا له عما أصاب حرثه وعقوبة لصاحب الغنم الذى أهمل فى حبسها وتركها تفسد المزروعات، وخرج صاحب الزرع مسرورا بالغنم حيث ينتفع بها ويجد فيها عوضا عما أصاب حرثه.

وخرج صاحب الغنم حزينا لفقده ماله وتجارته التى يحترفها وغنمه التى يتعيش منها وينتفع بلحومها وألبانها وأصوافها، فلقيهما سليمان عليه السلام - سليمان بن داود- فسألهما عن الحكم فأخبراه فأمرهما بالدخول عليه مرة أخرى ودخل معهما. فقال : يا أبت حكمك حسن ولكن عندى ما هو أحسن منه إن شاء الله، فإن الأرفق بصاحب الغنم والأقرب للفضل: أن يأخذ صاحب الحرث الغنم فيرعاها لصاحبها وينتفع بولادتها وألبانها وأصوافها. ويأخذ صاحب الغنم الأرض فيصلحها لصاحبها حتى إذا صار الزرع كما كان سلمه لصاحبه وأخذ غنمه، فارتضى داود حكم ابنه سليمان وأقره ورجع عن حكمه.

العبرة من القصة:

هذه القصة لم يكشف القرآن تفاصيلها ورواها المفسرون وكتاب السير والتاريخ والأخبار بهذا المعنى. وفى هذه القصة من الدروس والعبر مايلى:

١- أن داود عليه السلام اجتهد وحكم باجتهاده بخلاف الأولى وفهم سليمان حكما أقرب إلى الفضل والسعة والرفق من حكم أبيه داود عليهما السلام.

٢- يتبين من فهم سليمان أن هناك من صغار السن من يتصفون بالحكمة والفطنة والذكاء والفقه.

٣- أن داود عليه السلام لم يستنكف أن يرجع فى حكمه ويقر حكم ولده سليمان لما رأى حكمه أفضل من حكمه وهذا دليل على شدة التواضع والخضوع للحق أو الخشية من الله سبحانه وتعالى.

٤- أن سليمان عليه السلام لم يمنعه الحياء أن يراجع أباه في الحكم.

٥- أن الحكم بين الناس يتطلب علما وحكمة وذكاء وفطنة ومهارة وخبرة وبصيرة وأن فوق كل ذى علم عليم وأن الإنسان مهما أوتى من علم وبصيرة ومن تجرد عن الهوى، وفهما يجرى العدل فإنه قد يقع له بعض المعضلات التى يخفى عليه فيها وجه الصواب.

وهذه القصة ترينا عظم المسئولية الملقاة على القضاة والحكام وأن

الفصل بين الناس ليس مجرد نزهة ولكنه مسئولية خطيرة ولذلك روى لنا التاريخ أن بعض العلماء والأتقياء كانوا يتدافعون القضاء والحكم بين الناس والفتوى خشية الفتنة أو الزلل (الخطأ).

أما من يحرص على هذه المسئوليات ويطلبها لنفسه فإن الله يكله إلى نفسه، ومن فرضت عليه بغير استشراف منه وحرص عليها أعانه الله على تحمل تبعاتها.

قصة
النملة والهدهد



قصة النملة وهدهد

سليمان عليه السلام

ورث سليمان عليه السلام أباه داود عليه السلام فى الملك والعبادة، وذلك بأمر الله تعالى، وقد كان يشارك أباه فى شئون الحكم والحرب والقضاء وغير ذلك من الأعمال والمناصب، وتعلم منه شئون الحكم والسياسة والحرب وعلوم الدين وحفظ الزبور (الكتاب المنزل على داود عليه السلام).

وإذا كان الله تعالى قد أكرم داود عليه السلام بخصائص منها ترجيع الجبال والطير مع تسبيحه ومنحه الصوت الجميل وتعليمه صنعة الدروع والتفضل عليه بالعلم والحكمة وغير ذلك من المواهب والمنح. فقد منح الله تعالى لابنه سليمان من بعده النبوة والملك وعلمه لغة الطيور وسخر له الجن والريح، وأسال له عين النحاس وأنعم عليه بخوارق العادات ومنحه العلم والحكمة.

أخا الإسلام:

ذكرت قصة سليمان عليه السلام فى سورة الأنبياء، وفى سورة النمل، وسورة سبأ وسورة ص وغيرها.

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ [النمل]

سليمان عليه السلام والنملة :

قال تعالى :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ [سورة النمل]

جمع سليمان عليه السلام جنوده للحرب من الجن والإنس والطير. وكان الجن يعملون له ما يأمرهم به من الأعمال التى تشق على البشر فينجزونها فى وقت قياسى أى فى سرعة هائلة كإنشاء المبانى والمرافق واستخراج اللؤلؤ والأحجار الكريمة من أعماق البحار وصنع أوانى الطعام الكبيرة التى يكفى طعامها للعدد الكبير وغير ذلك من الأعمال.

وكانت الطيور تظلل الجنود وتبحث عن أماكن الماء وتستطلع أخبار الأعداء ويحملون الرسائل إلي الملوك.

وقوله وهم يوزعون أن يدفعون لتنظيم الصفوف واستعداد كل منهم لأداء مهمته.

حتى إذا أتوا على واد النمل (قرية النمل) إذا بسليمان يسمع النملة الملكة لدولة النمل تخاطب جماعة النمل فتأمرهم أن يدخلوا مساكنهم على وجه السرعة لوقاية أنفسهم من خطر هذا الجيش الزاحف، فعلم سليمان أن النمل أمم ودول لها ملوك وعمال (شغالون) وجنود وخبراء استطلاع ومخازن التموين وغير ذلك من شئون الأمم والدول.

والعجب من أمر هذه النملة الملكة أن خطابها لشعبها كان فى غاية الفصاحة حيث نبهت وأمرت ، ونصحت وحذرت، وأفردت وجمعت وأعذرت وأنذرت ، وعللت ونادت وأرشدت وسمت ووصفت، وأعلنتهم أن سليمان وجنوده لا يحطمونهم قاصدين وإنما يحدث ذلك إذا حدث رغما عنهم دون شعور أو قصد منهم فكأنها وصفتهم بالرحمة والشفقة واللين والتقوى.

كل هذه المعانى الجليلة ضمنتها من خلال كلمات قليلة. وأيضا هذه العبارة تدل على حكمة الملكة وشفقتها برعيتها وتحرى مصالح شعبها.

استفاد سليمان عليه السلام من هذا الموقف بعد أن ضحك من قول النملة وشكر الله تعالى على وافر نعمه وجزيل عطائه.

فعلم سليمان درسا من هذه النملة بل دروسا. إذ تعلم التواضع لخلق الله والشكر لله فليس هو وحده الملك ولكن هذه النملة ملكة وملكة حكيمة عالمة رحيمة تتقن فن السياسة والقيادة فى غاية اليقظة وتعلم أن هناك دولا وشعوبا وأمما من غير البشر من الحشرات وهى من أدنى المخلوقات. ولفت نظره إلى أن القوى قد يحطم الضعيف دون أن يشعر ودون أن يبالى. أيضا عرف أن هذه الكائنات الصغيرة تعرف خالقها وتعرف أنبيائه ورسله.

جاء سليمان من وادى النمل وقد تملكه العجب مما سمع ورأى. ولجأ إلى ربه يدعوه ويتضرع إليه أن يوفقه للقيام بشكر نعمته التى أنعمها عليه وعلى والديه ، وأن يوفقه لعمل الصالحات.

هل يدخل على سليمان عُجب وقد رأى للنملة سلطانا كسلطانه، ودولة كدولته وجندا كجنده، وأنها ترتاد مواقع الخير لرعيتها، وتدفع عنهم مواطن الشر وتحذرهم.

فليرع سليمان رعيته كما ترعى هذه النملة رعيتها وليجدوا عنده العطف والرحمة والحكمة والرشاد كمثل هذه النملة مع رعيتها.

هدهد سليمان

تفقد سليمان عليه السلام الطير، فوجد أن طائر الهدهد غير موجود، والهدهد كان مهمته البحث عن الماء لجنود سليمان، فيغضب سليمان ويتوعد بتعذيب الهدهد أو ذبحه إن لم يأته بحجة بينة مقنعة تكون سبباً للمعذوة.

يقول تعالى :

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل]

هذا الهدهد يتسم بالجرأة فى الحق والخشية من الله وحده يمكث قريبا من سليمان وهو يكلمه، فيقول فى ثقة وعزة نفس. أحطت بما لم تحط به أى عرفت ما لم تعرفه، وكأنه يلمح إلي صغره وضعفه بالقياس إلى قوة سليمان عليه السلام وسعة ملكه وتسخير الجن والإنس والطير والريح بين يديه.

قال : وجئتك من سبأ ، وهى قرية فى جنوب الجزيرة العربية باليمن ومعلوم أن دولة سليمان عليه السلام كانت فى فلسطين.

"أنبأ بخبر صادق مؤكد وأخذ يقص النبأ والناس تنظر فى عجب لهذا المشهد فالهدهد يحرك فمه ويفتح منقاره وسليمان عليه السلام يسمع منه ويفهم لغته.

"أنى وجدت امرأة تملكهم، وأوتيت من كل شئ يصلح للملك ولها عرش عظيم دلالة على عظم مملكتها وتقدم حضارتها وما وصلوا إليه من الرخاء والعمران واتساع الأرزاق ووفرة الثمار والحبوب وغير ذلك من الموارد والتقدم الاقتصادى والعمرانى والعلمى.

والذى أحزن الهدهد وحز فى نفسه ومزق قلبه كما قال. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله".

فكيف يسجدون لمخلوق مهما عظم، وعلل ذلك بأن الشيطان قد أغواهم، وأفسد عليهم فطرتهم وزين لهم سوء عملهم وأدخلهم في هذا الشرك، وصدهم (صرفهم) عن الطريق المستقيم طريق الإيمان والتوحيد والإذعان لله تعالى بالطاعة، فهم لايهتدون إلى الله الذي خلقهم من العدم، ورباهم وأنعم عليهم بجزيل النعم التى لا تعد ولا تحصى. فهم فى حاجة إليك لتنتشلهم من هذا الكفر وتبين لهم طريق الإيمان وعواقب الكفران وأنت نبى الله والداعى إليه.

وكان أولى هؤلاء القوم الذين أنعم الله عليهم أن يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض. أى يعلم المخبأ فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون ما تعلنون، وهو الله الذى لا إله سواه ولا رب غيره، وهو ملك الملوك وصاحب العرش الأعظم.

وقد ألقى عليه الهدهد هذا الخبر العظيم بإيجاز وبلاغة وفصاحة قد لا يقدر عليها الحكماء والفصحاء من البشر.

فلقن الهدهد سليمان دروسا قيمة.

أن سليمان لم يدر بهؤلاء والذين بدلوا فطرهم وضلوا عن سواء السبيل وهو من هو فى الملك والنبوة.

وأن الهدهد يدرك قصة الألوهية والربوبية ويعلم نبوة سليمان ومن ه الذى يُعبد وحده ويسجد له ويطاع.

وأن الله عالم الغيب، وأن من يدع علم الغيب كاذب إلا من أطلع الله تعالى على شئ من علم الغيب من رسول.

وأن الشيطان يكون وراء إفساد العقيدة واضلال الناس ، وحثهم على الفساد. فكأن الهدهد يصرح بعداوة الشيطان ويحث الناس على عداوته ونبذ طاعته والإخلاص لله تعالى رب كل شئ ومليكه.

كتب سليمان عليه السلام كتابا يدعو فيه ملكة سبأ وقومها للإيمان بالله تعالى وأن تأتى إليه مع أكابر دولتها مسلمين ، وأرسل الكتاب مع الهدهد، فهو أعرف بهم وبطريقهم، وهو هدهد حكيم ذكى يستطيع أن يلقى الرسالة بحيث تجدها الملكة فتقرأها وتعرضها على قومها ورجال دولتها، وهو يعرف أن يصف رد فعل هذه الرسالة وجواب المستشارين عليها وما ينوون فعله بعد قراءتها وقد كان.

وأراد سليمان أن يمتحن صدقه ويتثبت فلعل الهدهد قد أخطأ فيصيبهم بظلم، وربما وهم الهدهد أو قصر أو لعلها تكون مكيدة من الشيطان.

قال تعالى :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ [النمل]

وكان سليمان عليه السلام يميل إلى تصديق الهدهد ولكن أراد التثبيت وتعليم الناس كيف يتثبتوا ويدققوا ويتأكدوا من صدق الأخبار. ويكلم سليمان الهدهد بشئ من التنعيف فى مقابل جرأته عليه.

الهدهد يلقى الكتاب :

يذهب الهدهد بالكتاب متجها إلي طريق اليمن يسابق الريح طيرانا فى همة ونشاط حتى إذا وصل إلي شرفة مخدعها في قصرها ألقى الكتاب على سريرها بعد أن نفذ من نافذة الغرفة، ثم تنحى جانبا ليرقب ماذا تفعل الملكة ولعله أختبأ خلف الستائر.

عثرت الملكة على الكتاب الملقى على السرير فتعجبت لوجوده فى مخدعها دون أن يسلمه أحد أليها، وأخذت الكتاب تقرأها بلهفة وشغف وقد أخذها حب الاستطلاع كل مأخذ فلما قرأت الكتاب أعجبها أسلوبه المهذب، وكلماته القليلة التى تجمل المعانى الكثيرة ويدل أسلوبه على عظم مرسله وحكمته وفصاحته وأدبه مع مافى أسلوبه من جرأة مهذبة وثقة واعتداد بالنفس بعد أن افتتح بسم الله الرحمن الرحيم كدلالة على إيمان مرسل الكتاب وثقته بربه والعمل لوجهه الكريم.

وكانت الملكة عاقلة حكيمة خبيرة بشئون الحرب والسياسة وكانت لا تستبد برأيها، ولكنها تستشير رجال دولتها ومستشاريها ومساعديها قبل أن تتخذ القرار.

جمعت أهل الشورى وعرضت عليهم الكتاب ، وأخبرتهم أنها لا تقطع أمرا دونهم، اعترافا بفضلهم ومكانتهم لديها وتقربا لحثهم فى مشاركتها في إتخاذ القرارات المصيرية ولتحملهم المسئولية معها وفى هذا درس لكل من يتولى أمور الناس ويحكم فيهم.

سألها قومها عن صاحب الكتاب فأخبرتهم أن الكتاب من سليمان ووصفت الكتاب بأنه كريم وأنه يحمل أمرا بالخضوع للإيمان والإذعان لله بالعبودية والإتيان إلى سليمان طائعين وهم يعرفون سليمان ومدى قوته وسلطانه وقوة دولته، ولكنهم لما علموا بلهجة الكتاب الآمرة والتى تحمل تهديدا مستترا أخذتهُم العزة بالإثم والعنجهية فأشاروا على الملكة بالتجهز للحرب والقتال، فراجعتهم فى مشورتهم وحذرتهم عواقب الحروب وما تجره من دماروخراب وإذلال أهل العز وما تجره من فقر وخراب وأخبرتهم أنها سترسل إليه بهدية لتنظر ماذا يكون رد الفعل لديه هل هو نبى حقا أم ملك يبغى المال وزيادة الوجاهة والجاه والسلطان.

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾ [النمل]

إن أمور الحرب والتسرع فيها لا يحمد عقباه ولابد من استخدام الحيلة والاستطلاع وتقليب الرأى من كل الوجوه، والتسرع من شأنه أن يهلك الحرث (الزرع) والنسل.

أرسلت الملكة بلقيس هدية عظيمة إلي سليمان عليه السلام- هدية تليق بالمهدى والمهدى إليه هدية من ملكة ودولة قوية إلي ملك كريم ودولة لها شأن وهيبة.

ولعلها بهذه الهدية أرادت أن تختبر سليمان فإذا قبلها فهو مجرد ملك وإذا ردها فهو نبى والأمر لا هوادة فيه ولا تهاون أو لعله إن قبل الهدية أن تصالحه وتتقى شر الحرب .

موقف سليمان عليه السلام من الهدية:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ [النمل]

غضب سليمان عليه السلام لارسال الهدية إليه فكيف يقبل الهدية والقوم لم يعلنوا إسلامهم، ويريدون أن يكون لهم عليه منه ولهم عنده يد

(معروف) ليتغاضى عن دعوته، فرد إليهم الهدية وهددهم بإرسال جنود إليهم لا طاقة لهم بها، وأنه عازم عزماً مؤكدا على إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين، فلما وصل إليها سفراؤها علمت أن الأمر جد خطير وأنه جد لا هزل فيه وأن الخطر محدق بها ويشعبها فآثرت السلام وأذعنت لداعى الحق.

احضار عرش بلقيس:

علم سليمان بأن ملكة سبأ فى طريقها إليه، فاستشار الملأ من قومه فى إحضار عرشها قبل أن تأتى مع رجال دولتها مسلمين، وطلب إحضار العرش بسرعة خاطفة قبل وصولهم فقام عفريت من الجن فعرض أن يأتى بالعرش قبل أنتهاء سليمان من عمل يومه، وقال رجل أتاه الله علما من الكتاب. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك بصرك. أى قبل أن تغمض عينيك وتفتحها أى قبل أقل من الثانية. وما أن يفرغ الرجل من كلامه حتى وجد سليمان عليه السلام العرش أمامه فلما رآه مستقرا عنده، علم أن هذا اختبار من الله تعالى فتواضع لعظمته ولهج لسانه وقلبه بشكر ربه سبحانه وتعالى وهو قد عرف بالشكر وأبوه من قبل كان شاكرا لله مقرا بنعمه عليه.

قال المفسرون أن الذى أتى بالعرش وكان عرضه أفضل وأسرع مما عرضه العفريت والعفريت هو من بلغ قوة هائلة من الجن . ومعلوم أن الجن سريعو الحركة يطيرون بسرعة الصوت ويقطعون المسافات الهائلة فى دقائق معدودة.

قال المفسرون أن الذي أتى بالعرش هو وزير سليمان آصف بن برخيا وقال أخرون إنه جبريل عليه السلام وقال آخرون إنه سليمان نفسه أراد أن يعلم الجن أنه أقوى منهم بربه سبحانه وتعالى.

وهناك تفسير حديث قائم على بعض العلوم الكونية هذا التفسير يقول إن الذى أتى بعرش بلقيس رجل كان لديه العلم بكيفية تحويل المادة إلى طاقة وإعادة تحويل الطاقة إلى مادة أى تحويل المادة المكونة من المعادن أو غيرها إلى غاز وأشعة وإعادة تحويل هذه الطاقة إلى صورتها المادية السابقة دون أن تتفرق المادة وتتشتت فى الهواء وتنفلت. وأن هذه العملية تتم فى أقل من الثانية. فالله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

فى مواجهة ملكة سبأ:

أراد سليمان عليه السلام أن يرى الملكة آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته ، لتؤمن بالله على بينة وحجة من قلبها وعقلها.

وأمر سليمان بعض أتباعه أن يغيروا فى هيئة العرش قال نكّروا لها عرشها لنختبر ذكاءها ونرى رد فعلها عندما ترى عرشها وقد حدث به بعض التغيير أتعرفه أم لا.

ولما جاءت إلى سليمان ونظرت إلي عرشها قيل لها : أهكذا عرشك أى هل عرشك مثل هذا؟ ، فقالت : كأنه هو فأحتاطت للأمر لئلا تبدو كاذبة، وجاهلة فلو قالت هو فربما كان غيره ولو قالت ليس هو فربما كان هو.

ولما دعاها سليمان إلى دخول الصرح الذى يجلس فيه وكان هذا الصرح لجة من الماء (بئر ماء) فكشفت عن ساقيها، فكشفت عن ارتباكها وضعفها أمام سليمان وظهر تفوقه عليها، قال : لا بأس عليك، أنه صرح ممهد من قوارير مملوء بالماء، يخيل للناظر أنها ماء لنقاوة الزجاج وشفافيته ورقته. فأعلنت إسلامها مع سليمان، وندمت وتابت عن عبادة غير الله تعالى. وهى مع عقلها وحكمتها وخبرتها وسياستها كانت قد وقعت فى الشرك من تأثير البيئة الفاسدة التى درجت على الشرك فتأثرت بهذه البيئة فلما ذهب الران (السواد) عن قلبها وجلى الصدأ الذى كان يخيم على عقلها ثابت لرشدها فأذعنت للإيمان.

وكانت هذه المرأة الحكيمة سببا فى إسلام شعبها وإيمان أمتها فكانت مفتاحا للخير ،والفضل على قومها. والرسول ﷺ يقول : "لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُر النعم " وفى رواية أخرى خير له من الدنيا وما فيها.

وقولها وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين فهذا من كلامها أى أوتينا الإيمان من قبل أن نرى معجزة نقل العرش وكان ذلك وهى فى الطريق إلى سليمان عليه السلام.

وقيل إن سليمان عليه السلام قد تزوج من بلقيس بعد أن أسلمت فكيف لا وهو ملك وهى ملكة وقد أسلمت وأذعنت وحضرت إليه طائعة وكانت سببا فى هداية قومها ومن معها فحق لها أن تنعم بجواره وتشاركه حياته.

معجزات أخرى لسليمان عليه السلام:

من المعجزات التى أيد الله بها نبيه سليمان بن داود عليهما السلام غير معجزة احضار العرش ومعجزة تسخير الطير وتسخير الريح تجرى بأمره يطلقه حيث يشاء.

قال تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) ﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) ﴾ [سورة ص]

وقال تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) ﴾ [سبأ]

وتسخير الريح من أعظم النعم التى لم تعط لأحد قبل سليمان ولن تعطى لأحد بعده ولم يرث أحد مثل ملك سليمان ولا يكون ذلك لأحد بعده كما حكى القرآن. قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى. وتسخير الريح قد أعطته قوة هائلة استخدمها فى الدعوة إلى الله تعالى وهداية الناس بعون الله وتوفيقه. وهذه الريح من عجائب صنع الله تعالى.

ريح يمتطيها كما يمتطى الخيول أو المراكب فيوجهها كيف شاء إلى الوجهة التى يبتغيها وعليها جنوده من الإنس والجن والطير فليس لها مثال قبله ولا بعده.

روى ابن كثير عن الحسن البصرى رحمهما الله تعالى : كان يغدو على بساطه من دمشق وينزل باصطخر يتغدى بها، ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع، وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وفاته عليه السلام:

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ]

بينما سليمان عليه السلام واقف فى محرابه ببيت المقدس يرقب العمال من الجن قضى عليه الموت وهو متكئ على عصاه فلم يعلم الجن بموته إلا بعد أن أكلت الأرضة عصاه فخر على الأرض حينئذ وفروا على أنفسهم الجهد الذى كانوا يبذلونه خوفا من سليمان. وكانوا يفخرون على الإنس بسرعة سيرهم وطيرانهم وتخفيهم وحملهم للأثقال ويزعمون معرفة الغيب فيظهر عجزهم عن معرفة الغيب وإلا ما لبثوا فى العذاب المهين وهم يظنون حياة سليمان.

قصص بنى إسرائيل
فى التوراة

تعريف بالتوراة السامرية(١)

أنجب النبى إبراهيم عليه السلام : إسماعيل، وإسحق. وجعل الله فى ذريتهما النبوة والكتاب. وأنجب أيضًا زمران، ويَقشان، ومَدان، ومِديان، ويشباق، وشوحًا. وأيضًا أنجب السوارى اللواتى كُن له. كما هو مكتوب فى التوراة.

وأنجب إسماعيل عليه السلام من الذكور :

١- نبايوت.	٢- وقيدار.	٣- وأدبئيل.
٤- ومبسام.	٥- ومشماع.	٦- ودومة.
٧- ومَسًا.	٨- وحدار.	٩- وتيماء.
١٠- ويطور.	١١- ونافيش.	١٢- وقدمة.

وأنجب إسحق عليه السلام : عيسو ويعقوب.

وأنجب يعقوب (إسرائيل) عليه السلام: من الذكور:

١- رأوبين.	٢- وشمعون.	٣- ولاوى.
٤- ويهوذا.	٥- وزبولون.	٦- ويسَّاكر.
٧- ودان.	٨- وجاد.	٩- وأشير.
١٠- ونفتالى.	١١- ويوسف.	١٢- وبنيامين.

رحل يعقوب وبنوه وبنو بنيه ضيوفا على المصريين فى أرضهم. ثم بعد مدة من الزمان خرج بنو يعقوب من مصر بقيادة نبى منهم هو موسى عليه السلام، وعاشوا فى صحراء سيناء.

ثم سكنوا بين سكان سيناء والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان.

وبعد موت سليمان عليه السلام افترق بنو إسرائيل إلى فرقتين :

---

(١) دكتور / أحمد حجازى السقا .

الفرقة الأولى : سبط يهوذا وسبط بنيامين ونفر من سبط لاوى.

والفرقة الثانية : بقية بنى إسرائيل.

والفرقة الأولى : اتخذت مدينة القدس (أورشليم) عاصمة لها، وقالت : إن جبل صهيون هو الجبل الذى قدسه الله وعظمه. والفرقة الثانية اتخذت مدينة نابلس (شكيم) عاصمة لها، وقالت: إن جبل جرزّيم هو الجبل الذى قدسه الله وعظمه.

وكان يطلق على الفرقتين لقب العبرانيين لأنهم رحَّل يعبرون من مكان إلى آخر فى سبيل الرزق. كما كان يطلق على الفرقتين لقب بنى إسرائيل لأن أباهم واحد هو إسرائيل عليه السلام.

ولما افترقوا صار لكل فرقة اسم تتميز به وتعرف. فالذين اتخذوا القدس عاصمة سموا بالعبرانيين. وهو اللقب الذى كان لجميع بنى إسرائيل. وسميت دولتهم بمملكة يهوذا، لأن الحكام عليهم كانوا من سبط يهوذا. وسميت أيضاً بمملكة داود لأن الحكام عليهم كانوا من نسل داود من سبط يهوذا. والذين اتخذوا نابلس عاصمة سموا بالسامريين، لأن «عمرى» ملكهم اشترى جبلا من «شامر» بوزنتين من الفضة، وبنى على الجبل مدينة، وسمى المدينة التى بناها على الجبل شامر على اسم «شامر» صاحب الجبل. ونطقت فيما بعد «السامرة» وسميت دولتهم بمملكة إسرائيل نسبة إلى الجد الأول، وسميت أيضاً بمملكة أفرايم لأن الحكام عليهم كانوا من نسل أفرايم بن يوسف عليه السلام.

والمشهور قديما وحديثا عن الفرقتين : أن الأولى تلقب باليهود العبرانيين. أو باليهود. وأن الثانية تلقب باليهود السامريين. وتوراة الفرقة الأولى تعرف بالتوراة العبرانية. وتوراة الفرقة الثانية تعرف بالتوراة السامرية.

وموسى عليه السلام لما أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلا لكل شىء،

أفرز سبط لاوى. - الذى هو منه- لحمل التوراة، يعرفونها ويُعرفونها للناس. وكتب منها ثلاث عشرة نسخة. وضع نسخة فى التابوت- وسلم لكل سبط نسخة للذكرى. وظلت التوراة صحيحة فى أيدى بنى إسرائيل لم يغيروا منها حرفا واحدا إلى زمن الأسر البابلى.

ثم غير بنو إسرائيل التوراة.

ذلك أنهم فى مدينة «بابل» بعد سنة ٥٨٦ ق.م اتفق العبرانيون والسامريون على تغيير التوراة لأنهم وهم فى الأسر لما تأكدوا من إدبار الدنيا عنهم. وإقبال الخير على بنى إسماعيل بعد سنوات غير طويلة. رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد؛ ومن أجل ذلك كتبوا التوراة بأيديهم على المبادئ التالية :

١- الله تعالى ، إله واحد. ولكن ليس للعالمين، بل لبنى إسرائيل من دون الناس.

٢- شريعة التوراة أنزلها الله تعالى. ولكن ليست للعالمين، بل لبنى إسرائيل من دون الناس.

٣- النبى المنتظر الذى أخبر عن مجيئه موسى عليه سوف يأتى. ولكن ربما يكون من بنى إسرائيل. لا من بنى إسماعيل.

وكتب لهم «عَزرا» كتاب التوراة على تلك المبادىء. وعرضها عليهم فسروا بها.

ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بتوراة عزرا، وسكن العبرانيون فى مدنهم، وسكن السامريون فى مدنهم. ظهر عداء شديد بين العبرانيين وبين السامريين بسببه اختلفت التوراة العبرانية عن التوراة السامرية. ويقول العبرانيون : إننا على حق. ويقول السامريون لهم: بل نحن وحدنا على الحق وأنتم الذين حرفتم وغيرتم وزدتم وأنقصتم من كتاب الله.

وفى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، كان العداء شديدا لا يطاق بين العبرانيين والسامريين، وبسبب العداء كان اليهود لا يعاملون السامريين، وكان العبرانيون يلقبون الخارج على تقاليدهم بلقب «سامرى» دلالة على أنه منبوذ من قومه.

والمسيح لأنه صاحب دعوة لم يبال بهذا العداء وذهب إلى مملكة السامريين وبشر بدعوته. ولما سألته امرأة من السامريين بعدما علمت أنه نبى : أينا على حق؟ نحن أم أنتم؟ أينا على حق لأننا نصلى ناحية جبل جرزيم وأنتم تصلون ناحية جبل صهيون؟

أجاب المسيح: بأن القبلة ستنتزع من جرزيم وصهيون إلى مكان آخر.

ففى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا(١) أن المسيح «أتى إلى مدينة من السامرة يقال لها: سوخار(٢) بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه(٣). وكانت هناك بئر يعقوب. فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة(٤). فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء. فقال لها يسوع : أعطينى لأشرب. لأن تلاميذه قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما. فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى، وأنا امرأة سامرية. لأن اليهود لا يعاملون السامريين(٥). أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ومَن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه

---

(١) انظر أيضا إنجيل برنابا.

(٢) قضاة ٩:٧ و٤٦ وأشعياء ، ١:٢٨

(٣) تكوين ١٩:٣٣ و٢٢:٤٨ ويشوع ٣٢:٢٤.

(٤) تحتسب الساعات من بدء النهار.

(٥) الملوك الثانى ٢٤:١٧ ولوقا :٥٢و٥٣ وأعمال ٢٨:١٠ .

فأعطاك ماء حيا[1]؟

قالت له المرأة : ياسيد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟ أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية[2] قالت له المرأة ياسيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى

قال لها يسوع : اذهبى وادعى زوجك وتعالى إلى ههنا. أجابت المرأة وقالت : ليس لى زوج. قال لها يسوع : حسنا قلت ليس لى زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق. قالت له المرأة : ياسيد أرى أنك نبى[3]. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل[4]. وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه[5].

قال لها يسوع: يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب[6]. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون[7]. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود[8]

---

(١) أشعياء ١٢ :٣ و٤٤ :٣ وإرمياء ٢ :١٣ وزكريا ١٣ :١ و١٤ :٨

(٢) يوحنا ٦ :٣٥ و٥٨ و٧ :٣٨.

(٣) لوقا ٧ :١٦ و٢٤ :١٩ ويوحنا ٦ :١٤ و٧ :٤٠.

(٤) قضاة ٩ :٧

(٥) تثنيه ١٢ :٥ و١١ والملوك الأول ٩ :٣ والأيام الثانى ٧ :١٢

(٦) ملوك ١ :١١ و١ تى ٢ :٨.

(٧) الملوك الثانى ١٧ :٢٩

(٨) لأن الخلاص هو من اليهود عبارة زائدة على النص وغرض الزيادة: أن النبى المنتظر سيكون من بنى إسرائيل.

ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مَسيّا الذى يقال له المسيح يأتى. فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شىء».

وقد آمن بدعوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كثير من اليهود السامريين فى حياته، ولم يطلبوا قتله. ففى الأصحاح الرابع من يوحنا عن إيمان كثيرين من السامريين «فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد أنه قال لى كل ما فعلت. فلما جاء السامريون سألوه أن يمكث عندهم. فمكث هناك يومين. فآمن أكثر جداً بسبب كلامه».

وفى الأصحاح الثامن من يوحنا يقول المسيح لليهود العبرانيين: «أنتم من أب هو إبليس. وشهوات أبيكم تريدون أن تعلموا. ذاك كان قتالا للناس من البدء، ولم يثبت فى الحق. لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذب. وأما أنا فلأنى أقول الحق لستم تؤمنون بى. من منكم يبكتنى على خطية؟ فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بى؟ الذى من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله.

ويرد عليه اليهود العبرانيون بقولهم: «ألسنا نقول: حسنا. إنك سامرى. وبك شيطان» ثم يطلبونه ليقتلوه فيختفى ويخرج من الهيكل.

وبعد رفع المسيح عليه السلام بشر حواريوه من اليهود العبرانيين بالإنجيل وذهب واحد منهم هو «فيلبس» إلى مدينة السامرة فلم يرفضه السامريون. بل قبلوا كلامه. ففى الأصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة. فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة، وكان يكْرزُ لهم بالمسيح. وكان الجموع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم».

ولما سمع أتباع المسيح من اليهود العبرانيين أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ولما ذهبا وشاهدا إيمانهم «رجعا إلى أورشليم، وبشرا قرى كثيرة للسامريين»، وكان ذلك قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

والمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ولد فى مملكة اليهود العبرانيين، وتربى فيها. وكان يتعلم فى هيكل سليمان بأورشليم، وكان يعلّم . ومما علّمه قوله لبنى إسرائيل: إننى ما جئت لأنسخ شريعة التوراة. وإنما جئت للتبشير بالبشرى المفرحة[١]. اعملوا بأحكام التوراة كلها إلى أن يأتى وعد الله[٢]. ففى الأصحاح الخامس من إنجيل متى يقول المسيح: « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[٣]. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملوكت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات»، وفى الأصحاح الثالث والعشرين: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون».

ومن أجل هذا الحكم. حمل النصارى أتباع المسيح عليه السلام التوراة العبرانية وكتاب الإنجيل معا. ووضعوهما فى مجلد واحد وسموه «الكتاب المقدس».

لقد حمل النصارى التوراة العبرانية لأن المسيح من اليهود العبرانيين. ولم يلتفتوا إلى التوراة السامرية لغنى العبرانية عنها.

---

(١) محمد ﷺ.

(٢) مجىء محمد ﷺ.

(٣) مجىء محمد بالقرآن لينسخ التوراة.

ولو أن النصارى آمنوا بقصر التوراة على بنى إسرائيل وحدهم. كما قرر بنو إسرائيل فى بابل. لما نشروا التوراة العبرانية فى العالم بجميع لغات العالم. ولوجدنا صعوبة فى الحصول على التوراة العبرانية. كما هو الحال بالنسبة للتوراةالسامرية.

إن النصارى إلى يومنا هذا ينشرون التوراة بين الناس. واليهود جميعاً إلى يومنا هذا لا يحاولون إظهارها. وليس من شك فى أن ترجمة النصارى للتوراة ليست بأفضل من ترجمة اليهود للتوراة. للخلاف فى العقيدة بين اليهود والنصارى من جهة. ولأن اليهود أكثر معرفة من غيرهم بلغة كتابهم. وعلى سبيل المثال: يعتقد نصارى الأرثوذكس أن «الروح المقدس» مرحلة من مراحل ثلاث لذات الله عز وجل. يقولون : إن الله عز وجل قبل أن يدخل فى بطن مريم عليها السلام كان يلقب بلقب «الآب» وبعد نزوله من بطن مريم لقب بلقب «الابن» وبعد ما قتله اليهود وصلبوه ووضعوه فى القبر، نزل إلى الجحيم ثم صعد إلى القبر، ومنه ارتفع إلى السماء. ولما استوى على العرش لقب بلقب «الروح القدس» ويعتقد نصارى الكاثوليك والبروتستانت أن «الروح القدس» إله مستقل بنفسه عن الإله «الآب» والإله «الابن» ولما كانوا يؤمنون بالتوراة التى هى كتاب العقيدة والشريعة لبنى إسرائيل. والمسيح لم ينسخها. ترجموا أول سفر التكوين هكذا: «فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه»، وغرضهم من الترجمة هذه: إثبات عقيدتهم فى «روح الله» الذى هو« الروح القدس» عندهم. وغرضهم هذا ماكنا لنعرفه لو لم نقرأ ترجمة اليهود نفسها التى تترجم «وريح الله» بدل «وروح الله».

ولو لم نقرأ التوراة السامرية ما كنا لنعلم كثيراً مما كتبه اليهود بأيديهم فى التوراة لأغراضهم. وعلى سبيل المثال: حينما نقرأ هذا النص فى التوراة العبرانية: يقول الله تعالى «أليس ذلك مكنوزا عندى. مختوما عليه فى خزائنى؟

لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢: ٣٥:٣٤) لا نفهم منه أنه» يشير إلى الجزاء فى يوم القيامة. بل نفهم أن الجزاء يأتى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة. وحينما نقرؤه فى التوراة السامرية لا نفهم منه إلا أنه يشير إلى الجزاء فى يوم معلوم وهو يوم القيامة.

وما يقال فى المقارنة بين السامرية والعبرانية يقال بين التوراة اليونانية والسامرية، وبين اليونانية والعبرانية. وعلى سبيل المثال نقرأ فى العبرانية هكذا: «وأرفكشاد ولد شالح، وشالح ولد عابر» (تك ١٠:٢٤) ونقرأ الآية نفسها فى اليونانية هكذا: «وأرفكشاد ولد قينان وقينان ولد شالح» وكاتب إنجيل لوقا أهمل النص العبرى فى الأصحاح الثالث وأخذ بالنص اليونانى. وعلى سبيل المثال أيضا نقرأ فى السامرية هكذا: «جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر: سبعون» (تك ٤٦:٢٧) ونقرأ الآية نفسها فى اليونانية هكذا: «جميع نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر خمسة وسبعون».

واليهود السامريون واليهود العبرانيون متفقون فى أمور، ومختلفون فى أمور. متفقون فى وحدانية الله وعظمته، وأنه يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، وأنه سيجازى الناس على أعمالهم. وأنه أنزل التوراة هدى ونورا، وأنه سوف يرسل نبيا مثل موسى عليه السلام.

ومختلفون فى أمور أهمها:

١- أسفار الأنبياء. فإن العبرانيين يعترفون بها والسامريون يرفضونها.

٢- النص على يوم القيامة. فإن العبرانيين لم يصرحوا به فى توراة موسى، وإنما صرحوا به أسفار الأنبياء. وصرح به السامريون فى توراة موسى. ومع تصريح العبرانيين به فى أسفار الأنبياء اختلفوا فيما بينهم فقال بعضهم: إن البعث ليوم القيامة بالجسد والروح. وقال بعضهم بالروح دون

الجسد. وخلافهم هذا أظهروه فى ترجمة هذا النص: «أما أنا فقد علمت أن ولى حى والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا، وبدون جسدى أرى الله. الذى أراه أنا لنفسى، وعيناى تنظران وليس آخر» (أيوب ١٩: ٢٥-٢٧) هذا النص من ترجمة البروتستانت يثبت البعث بالروح دون الجسد. والآباء اليسوعيون يترجمونه هكذا: «إنى لعالم بأن فادى حى، وسيقوم آخرا على التراب. وبعد ذلك تلبس هذه الأعضاء بجلدى، ومن جسدى أعاين الله الذى أنا أعاينه بنفسى، وعيناى تريانه. لا غيرى» وترجمتهم : تثبت البعث بالروح والجسد: ويعلقون عليها بما نصه: «هذا الموضع مشهور جدا لتصريحه بعقيدة القيامة على غير إشكال ولا احتمال للتأويل. وإن حاول قوم جهد استطاعتهم أن يحولوا معنى هذه الآيات مع ما فيها من الوضوح فى بيان المراد. إذ أى عبارة تكون أجلي وأصرح من قوله «من جسدى أعاين الله» وقوله «أنا أعاينه بنفسى، وعيناى تريانه لا غيرى»(١) أ.هـ.

٣- جبل جرزيم. يقدس السامريون جبل جرزيم فى أرض فلسطين. ويتجهون إليه فى الصلاة والحج. ويقدس العبرانيون جبل صهيون.

وقد تغيرت نظرة اليهود العبرانيين اليوم إلى السامريين. إنهم ينظرون اليوم إليهم على أنهم إخوة. اختلفوا معهم فى الرأى، كما اختلف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم إلى فريسيين وصدوقيين. وكما اختلفوا من بعد المسيح إلى ربانيين وقرائيين. يقول اليهودى العبرانى: عزرا حداد عن السامريين: «إن حدة الجفاء المستحكم بين السامريين واليهود، قد خفت بتأثير موجة الاضطهاد التى غمرت الفريقين، فقربت المصائب بينهما، بل صاروا يمتدحون ببعض الشعائر الموسوية، وحرصهم الشديد على تطبيقها.

---

(١) ص ١٦ حواش على المجلد الأول من الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين ، طبعة بيروت سنة ١٩٦٨م.

وفى القرن السابع للميلاد تقلص ظل الروم عن فلسطين بفضل الفتح الإسلامى، فاستفاد اليهود والسامريون على السواء من تسامح المسلمين تجاه معتقدات الشعوب المحكومة منهم فأصبح السامريون فى عداد أهل الذمة وفى أيام الدولة الفاطمية أصاب السامريون عزا ورفاهية فكان يحكمهم عامل سامرى من صفورية يدعى «تقوى بن إسحق» ويحدثنا مؤرخو العرب عن وجود جماعات مرفهة منهم فى الشام ومصر. وهناك رسالة من سنة ١٢١٤م تدل على الشأن الذى بلغته هذه الطائفة فى «نابلس»(١).

والظاهر أن الحملة الصليبية التى أهلكت عدداً غفيراً من اليهود والمسلمين في فلسطين لم تؤثر كثيراً على السامريين. فقد وجد «بنيامين» الذى زار موطنهم حوالى سنة ١١١٧م نحو ألف عائلة منهم فى «نابلس» و٢٠٠ فى «قيسارية» و٣٠٠ فى «عسقلان» و٤٠٠ فى «دمشق» كما يحدثنا عن احتفالهم بعيد الفصح على شكل ماهو معروف عنهم فى الوقت الحاضر.

أما قوله: بأن الكتابة السامرية تنقصها ثلاثة أحرف فلا صحة له. وكل ما هنالك: هو أن السامريين قد احتفظوا بالخط العبرانى القديم، فى حين اقتبس اليهود الخط الأشورى المربع بعد عودتهم من سبى بابل.

والسامريون موحدون لا ريب فى توحيدهم، واعتقادهم راسخ فى أنهم من بنى إسرائيل، من آل يوسف الصديق، وهم لا يعترفون بغير أسفار موسى الخمسة من الكتاب المقدس، يتبعون نصوصها ومنطوقها الحرفي. شأنهم بذلك شأن القرائين فى عدم اتباعهم أحكام التلمود. فهم شديدو الحرص على حرمة السبّت. لا يُرى عندهم فيه نار أو نور، ويصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود. لكنهم يتشددون به فلا يستثنون منه حتى الأطفال والمرتضعين. وفي عيد الفصح

---

(١) اليعقوبى ص ٣٢٩.

يحجون جبل الجرزيم فينحرون الأضاحى. مثل ماكان يفعل الإسرائيليون قديما على جبل القدس. وهم يسمون الحجر الذى ينحرون عليه أضحيتهم بالصخرة تشبها بالصخرة المعروفة فى الحرم الشريف.

والسامريون مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة وبوجود الملائكة وظهور المسيح فى آخر الأيام. لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف على حين يعتقد اليهود أنه من آل داود.

وقد عنى بأخبار هذه الفرقة عدد كبير من الرحالة الأوربيين فى القرون الوسطى والحديثة. وفى سنة ١٥٨٤م عثر العلامة «سكاليجر» فى القاهرة على تقويمين قديمين للسامريين، كما وجد فى «غزة» مخطوطات خاصة بهم فوضع على إثر ذلك: أول رسالة علمية فى السامرة وتاريخها وتقاليدها.

وبعده بربع قرن نشر عالم إيطالى : النص الأصلى لنسخة التوراة السامرية، كان قد عثر عليها فى «دمشق» فأثار نشرها إهتمام المحققين، وكتبوا عنها البحوث المطولة. ولا يزال النقابون يعثرون بين حين وآخر على آثار وكتابات سامرية قديمة فيها ما يلقى ضوءاً جديداً على تاريخ هذه الطائفة.

ويقيم اليوم أبناء هذه الفرقة فى «نابلس وضواحيها»(١). أ.هـ.

وكما اعترف كثير من علماء اليهود العبرانيين بنبوة محمد ﷺ، اعترف كثير من علماء اليهود السامريين.

اعترفوا لما هو مكتوب فى التوراة : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام عن إسماعيل عليه السلام : «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا

---

(١) ص ١٨٥. كتاب رحلة بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى (٥٦١-٥٦٩هـ) و(١١٦٥-١١٧٣م ترجمها عن الأصل العبرى، وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها: عزرا حداد. بغداد. المطبعة الشرقية ١٣٦٤ هـ١٩٤٥م.

أباركه. وأثمره. وأكثره. كثيرا جدا. اثنى عشر رئيساً يلد. وأجعله أمة كبيرة» (تك ١٧: ٢٠) وأن موسى قد أشار فى سفرى الخروج والتثنية إلى مجئ نبى مثله ينسخ شريعته. ولابد أن يكون هذا النبى من نسل إسماعيل عليه السلام لثبوت بركة في نسله. قال موسى عليه السلام «قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذي يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبي الذي يطغى؛ فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به؛ أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى. وإن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه» (تث : ١٨: ١٨-٢٢).

ومن العبرانيين الذين اعترفوا وأسلموا «شموئيل بن يهوذا بن أيوب» رحمه الله مؤلف كتاب «بذل المجهود فى إفحام اليهود» ومن السامريين الذين اعترفوا ولم يسلموا «أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى الدنفى» مؤلف كتاب «التاريخ مما تقدم عن الآباء»(١) فقد كتب عن محمد : «ومحمد ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع، وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه العلامة فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين أبى الفرج بن كثار أنه جاء فى نقل السلف عن محمد. وهو : مفتوحا وخرج منه كلب فلما رأوه جاءوا وراءه إلى الباب وما علم بهم وركبوا وبقى القتل فى المدينة وأقاموا يوما كاملا يقتلون فى السوق السفلانى قبل أن يعلم الفوقانى لأنها كانت مبنية مدينة فوق مدينة ومن قدر يهرب فى البحر ومن استسلم لهم سلم وانفتحت المدينة وسكنوا فيها فلما

(١) طبع جرتا بألمانيا سنة ١٨٦٥ بعناية المسيو دلمار. والترجمة ركيكة. صفحة من كتاب «التاريخ مما تقدم عن الآباء» فيها اعتراف السامريين بمحمد ﷺ .

فتحوها حلت هيبتهم على سائر الأماكن هؤلاء بنو إسمعيل أحاطوا كل الأماكن ورتب الجزية أربعة دراهم ومخلاة شعير من سوى خراج الأرض ومحمد ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه العلامة فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين أبى الفرج بن كثار أنه جاء فى نقل السلف عن محمد وهو:

وأقام محمد في المملكة عشر سنين وكل العالم طائعين له ومنه انتقلت مملكته إلى أقاربه بنى أمية على ما أوصاهم لم يزيدوا ولا ينقصوا ولا أسأوا إلى أحد قط وقام منهم تسعة عشرة ملكا أولهم محمد عاش ثلاثة وستين سنة ثلاثا وأربعين سنة لم يتعرض إلى شيء وعشر سنين للحروب وعشر سنين نبى وملك ومنذ ملك الإسلام إلى مروان الآخر من بنى أمية مائة وواحدة وثلاثاون سنة.

الشوق cod الشوق .3 . مفتوح cod مفتوحا.1

7.الأرضFinis narrationis e codice C.petitae. -12.Ab

hinc sequitur primum hujus chronici additanentum. qood

in codicibus A. C. legitur.-14.ملكا codd, ملك -

ومن يقرأ التوراة والعبرانية واليونانية لا يعتقد أن موسى هو الكاتب. بل يجزم أن الكاتب غير موسى. ففى سفر الخروج يقول الكاتب: «وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة» (خر١٦:٣٥ وفى سفر العدد يقول الكاتب : «وأما الرجل موسى فكان حليما جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد ١٢:٣) وفى سفر التثنية يقول الكاتب :«فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب، حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب، مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» (تث ٤٢:٥ ٦٠).

وليس فى توراة موسى ما يدل على اسم الكاتب. وإنما يشتبه فى أن «عَزرًا» هو الكاتب من آيات فى سفر عزرا وسفر نحميا. كما قرر اليهودى العبرانى الفيلسوف «سبينوزا» فى كتابه « رسالة فى اللاهوت والسياسة» إنه قرر بأدلة من التوراة العبرانية أن موسى لم يكتب هذه التوراة، ولا يمكن أن يشتبه إلا فى عزرا كتبها فى «بابل» أثناء سبى نبوخذ نصر. واستشهد بعبارات للحَبر إبراهيم بن عزرا. والسامريون يقولون : إن التوراة العبرانية كتبها عزرا[1]. وساعده بقوته «رزبّابل ابن شألتئيل».

وقد صرح القرآن الكريم بتحريف علماء بنى إسرائيل للتوراة. وبين أنهم أخفوا ونسوا، ولبسوا الحق بالباطل وحرفوا الكلم من بعد مواضعه، وعن مواضعه. ولنذكر هذه الآية مثلا لإيضاح اللبس والتحريف:«أقيم لهم نبيا. من وسط إخوته. مثلك» أراد الكاتب بقوله « من وسط » تعريف اليهود بأن النبى الآتى منهم أنفسهم. وهذا لبس الحق بالباطل. لأن لإسماعيل عليه السلام بركة ولأنه قال مثل موسى.

وقال أيضا لن يقوم فى إسرائيل مثل موسى. فإذن الآتى يكون من نسل إسماعيل المبارك. وأراد الكاتب بقوله «إخوتهم» تعريف اليهود بأن النبى الآتى منهم، لأنهم إخوة بعضهم لبعض. مع أن «إخوتهم» تدل أيضا على بنى إسماعيل فإنهم إخوة لبنى إسحق ولا شك فى أن النص الأصلى يعنى بنى إسماعيل. للبركة الثابتة له. ولكن عزرا وضع «إخوتهم» لتحتمل المعنيين. المعنى الأصلى الذى تركه موسى، والمعنى الجديد الذى يريده اليهود، وهذا هو تحريف الكلم من بعد مواضعه.

واليهود اليوم لا يستطيعون تغيير ألفاظ التوراة، ولم يستطيعوا من بعد ما

---

(١) انظر : التاريخ مما تقدم عن الآباء.

كتبها عزرا. وإذا سألوا عن النبى الآتى قالوا: إنه إلى الآن لم يأت، وإذا أتى سيكون من بنى إسرائيل. وهذا هو تحريف الكلم عن مواضعه. لأن دلالة النصوص مجتمعة عن النبى المنتظر تدل على أنه من آل إسماعيل عليه السلام، وهم لا يأخذون بمفهوم النصوص، بل يلوون عنق الآيات ليًّا.

والتوراة السامرية مكونة من خمسة أسفار هى : التكوين، والخروج، واللاويين (الأحبار) والعدد، وتثنية الإشتراع.

١- وسفر التكوين. يتحدث عن تاريخ الوعود الإلهية منذ خلق آدم حتى موت يوسف. ويقسم هذا السفر إلى جزءين كبيرين متفاوتين: تاريخ بدء الإنسانية وهو من الأصحاح الأول إلى الحادى عشر، وتاريخ أباء بنى إسماعيل باختصار وبنى إسرائيل بتفصيل وهو من الأصحاح الثانى عشر إلى الخمسين.

فى سفر التكوين نجد حديث التوراة عن خلق الله للسموات والأرض. وخلق آدم وحواء. ولماذا قتل قابين أخاه هابيل؟ ولماذا رفع الله إدريس إليه؟ وفى سفر التكوين نقرأ قصة نوح. وقصة إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم السلام.

٢- وسفر الخروج، يتحدث عن موضعين رئيسيين، هما:[١] رحيل بنى إسرائيل عن مصر بقيادة موسى عليه السلام، وكانوا قد دخلوا فى عهد يوسف عليه السلام. وهذا الموضوع فى الأصحاح الأول إلى الخامس عشر. [٢] والعهد الذى أعطى لموسى عليه السلام فى صحراء سيناء، وهذا الموضوع فى الأصحاح التاسع عشر إلى الأربعين. ويفصل بينهما موضوع ثانوى وهو السير

---

(١) لعله يقصد فيلاد لفيوس اليونانى.

(٢) ما بين القوسين نص عبرى سامرى ترجمته: «ولا يقوم أيضا نبى فى إسرائيل كموسى».

فى الصحراء وهذا فى الأصحاح الخامس عشر إلى الثامن عشر.

٣- وسفر اللاويين (الأحبار). كتاب يحتوى على الأحكام التشريعية التى تنظم العبادة عند الإسرائيليين.

٤- وسفر العدد. يحتوى على إحصاءين لبنى إسرائيل فى صحراء سيناء (الأصحاحات ١-٤-٦٢) وفى سائرُ السفر يوجد إهتمام كبير للأعداد إذا تحدث الكاتب عن موضوع الصدقات التى يقدمها بنو إسرائيل لله أو عن الذبائح أو عن توزيع مدن اللاويين.

وهذا السفر تابع طبيعى لسفر الخروج ويعود إلى موضوع السير فى الصحراء، إنه يروى تنقلات الإسرائيليين منذ الأشهر الأخيرة فى سيناء إلى عشية دخولهم أرض الميعاد وكاتب السفر يبلغ هذه الرواية ممتزجة بروايات أخرى، ونصوص تشريعية، ومجموعة قانونية من العادات والحوادث الثانوية.

٥- وسفر تثنية الاشتراع. ويسمى : التثنية. هو نشرة ثانية للشريعة الموسوية لكن مطبقة على وسط اجتماعى وسياسى أكثر تطورا. قابل مثلا بين الشرائع المتعلقة بتحرير العبيد (خر٢١:٢-١١) مع (تث ١٥:١٢-١٨) وقابل أيضا بين حكم مكان العبادة فى سفر الخروج وحكمه فى سفر التثنية. ففى الخروج من الممكن الإكثار من بناء أمكنة للعبادة غير محددة الجهة لعبادة الله أيا كان الموضع (خر٢٠:٢٢-٢٦). وفى التثنية فرضت مركزية العبادة فى مكان واحد (تث ١٢:١٣-١٤).

وينتهى سفر التثنية بالحديث عن موت موسى عليه السلام ودفنه فى أرض موآب وأن نبيا مثله لن يظهر فى بنى إسرائيل إلى الأبد «ولا يقوم أيضا نبى فى إسرائيل كموسى الذى ناجاه الله شفاها بجميع الآيات والمعجزات التى أرسله للفعل إلى أرض مصر بفرعون وبكل عبيده وبكل أرضه وبكل اليد الشديدة وبكل

المناظر العظيمة التى صنع موسى بمشاهدة كل إسرائيل.

شريعة وصى لنا موسى لجوق يعقوب. معطيها الله. يحمد. تبارك إلهنا أبداً، وتعالى ذكره سرمدا » ا. هـ.

ونصوص النبوءات عن محمد ﷺ واحدة في التوراة السامرية والعبرانية. وتختلفُ السامرية عن العبرانية فى أمرين :

الأمر الأول: أن قول موسى لبنى إسرائيل الأصحاح الثامن عشر من التثنية: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون» ... إلى آخر الأصحاح مذكور فى السامرية مرتين مرة فى سفر الخروج ومرة فى سفر التثنية. ومذكور فى العبرانية مرة واحدة فى سفر التثنية، ومحذوف من سفر الخروج.

والأمر الثانى : أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبى من بنى إسرائيل بصراحة فقالت «ولا يقوم أيضاً نبى فى إسرائيل كموسى» وحيث أن من أوصاف هذا النبى مماثلته لموسى، وحيث لإسماعيل بركة فإن هذا النبى سيكون من بنى إسماعيل عليه السلام. وأما التوراة العبرانية فقالت : «ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى» يقصد الكاتب أن يقول: إننى حال الكتابة أعترف بأنه إلى زمنى هذا لم يظهر النبى المماثل لموسى. ومن الممكن أن يظهر بعد زمنى فى إسرائيل أو غيرها .

ولهذا الفرق. رفض السامريون أسفار الأنبياء. وهى أسفار تركها بعض أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا من بعد موسى مثل سفرى أشعياء وإرمياء وأسفار كتبها الكاتبون ونسبوها إلى غير كاتبها مثل سفرى يشوع وراعوث والعبرانيون يقدسون أسفار الأنبياء مع الأسفار الخمسة وهى :

١- يشوع. ٢-القضاة. ٣- راعوث.

٤- صوئيل الأول. ٥- صوئيل الثانى. ٦-الملوك الأول.

٧- الملوك الثانى. ٨-أخبار الأيام الأول. ٩- أخبار الأيام الثانى.

١٠-عزرا. ١١- نحميا. ١٢- أستير.

١٣-أيوب. ١٤-المزامير. ١٥-الأمثال.

١٦-الجامعة. ١٧-نشيد الإنشاد. ١٨- أشعياء.

١٩- إرمياء. ٢٠- مراثى إرمياء. ٢١-حزقيال.

٢٢-دانيال. ٢٣-هوشع. ٢٤-يوئيل.

٢٥-عاموس. ٢٦-عوبديا. ٢٧-يونان.

٢٨-ميخا. ٢٩-ناحوم. ٣٠-حبقوق.

٣١-صفنيا. ٣٢-حجى. ٣٣-زكريا.

٣٤-ملاحى.

ففى كتاب «التاريخ مما تقدم عن الآباء» نجد المؤرخ السامرى يقول : إن الملك «فلطمة» فى مدينة «الإسكندرية» من قبل المسيح قال لعلماء من السامريين : «ماتقولون فى هؤلاء الذين قد ادعى اليهود بأنهم أنبياء ولهم هذه الأسفار»؟

فرد علماء السامرين على الملك بقولهم : «أما هؤلاء فما نعرف بنبوتهم، ولا بأسفارهم لأنها أيها الملك إما أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء. فإن كانت على يد أنبياء فقد منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى : نبى بقوله: (   )[1]

ولو صادرناهم على إدعائهم، مع منعها عندنا لكانت إما ترد بمثل مافى

(١) ما بين القوسين بغى عبرى سامرى ترجمته : "ولا يقوم أيضاً نبى فى إسرائيل كموسى"

التوراة سواء فلا حاجة إليها أو بأنقص مما فيها فاتباع الأفضل أوجب، أو بأزيد مما فيها. وقد نهى الشرع عندنا من قبوله»[1] أ.هـ.

يقول الدكتور أحمد حجازى السقا

وقد حثنى على تقديم التوراة السامرية للناس : أن علماء المسلمين الذين كتبوا من قبلى فى علم مقارنة الأديان : أشاروا إليها ونقدوها، ولم يطلعوا عليها، منهم من أشار إليها بالسماع، ومنهم من أشار إليها بالنقل عن غيره، وصرحوا بصعوبة الحصول عليها، فلما حصلت عليها أردت أن تكون إشاراتهم وإشاراتى ظاهرة بالدلائل، ومعروفة بالشواهد.

لقد أشار إليها الإمام الجليل أبو محمد على بن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦هظ فى كتابه: «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» بقوله عن السامريين: «يقولون: إن مدينة القدس هى نابلس، وهى من بيت المقدس[2] على ثمانية عشر ميلا، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه. ولهم توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود. ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام»[3] أ.هـ.

والإمام الجليل العلامة شمس الدين محمد ابن أبى بكر ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ فى كتابه «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» يقول: «واليهود تقر أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا، وزادوا ونقصوا. والسامرة تدعى ذلك عليهم»[2] أ.هـ.

---

(١) ص ٧٩ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

(٢) يقصد مدينة القدس (أورشليم).

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ص ٩٨-٩٩جـ ١.

(٤) هداية الحيارى ص ١٠٦ نشر المكتبة القيمة بمصر ٧٤ شارع مصر والسودان.

والإمام الجليل العلامة الشيخ محمد رحمت الله بن خليل الهندى المدرس فى المسجد الحرام والمؤسس للمدرسة الصولتية فى مكة المتوفى سنة ١٣٠٨هـ فى كتابه «إظهار الحق» يقول عن السامرية : «وكثير من محققى علماء البروتستنت مثل «كنى كات» و«هليز» و«هيوبى كينت» وغيرهم، يعتبرونها دون العبرانية، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية، وجمهور علماء البروتستانت أيضا يضطرون فى بعض المواضع إليها، ويقدمونها على العبرانية»[١] أ.هـ.

يقول الدكتور أحمد حجازى السقا :

وقد حصلت على مخطوطة التوراة السامرية هذه من مدينة «نابلس» فى سنة ١٩٧٨م وسبب حصولى عليها: أن الكاهن السامرى : عبد المعين صدقه قام بتصوير مخطوطة قديمة للتوراة السامرية كان قد ترجمها من اللغة العبرانية السامرية القديمة إلى «اللغة العربية» الكاهن السامرى : أبو الحسن إسحق الصورى، وكتبها بخط يده : أبو البركات ولما صور هذه المخطوطة صوراً كثيرة ووزعها على الراغبين فى الاطلاع عليها تلبية لرغبة البروفيسور: زهير صالح الشنا بجامعة برلين.

ولما اطلعت عليها وجدت المترجم السامرى : أبو الحسن إسحق الصورى. قد ترجم ترجمة عربية قديمة على لغة «ظلمونى الناس» أو «أكلونى البراغيث» ولم يحسن الربط بين الجمل، ولم يراع قواعد اللغة العربية فى أواخر الكلمات أحيانا،

---

(١) أول الباب الثانى من إظهار الحق طبعة مصر سنة ١٩٧٨م. والشيخ رحمت الله- رحمه الله- من العلماء المجتهدين الذين يضارعون أبا حنيفة ومالكا والشافعى وابن حنبل. وهو أول من نظم الكلام وحسنه فى «علم مقارنة الأديان» ويعده المسلمون من المجددين المخلصين ويرفعون قدره عن معاصريه مثل «جمال الدين الأفغانى» وقد شهد بعظمته الأصدقاء والأعداء على حد سواء. وقال الكثيرون: إنه أعظم من جمال الدين الأفغانى إن عد الأفغانى من العظماء.

ولم يضع أرقاما للآيات، ولم يضع فواصل بين الجمل كما وضع البروتستنت فى طبعتهم، ولم يقسمها إلى إصحاحات. لقد كان كل هدفه : نقل اللفظ العبرانى إلى لفظ عربى. وكنت أستطيع أن أصلح له الترجمة. ولكنى لم أفعل للأمانة العلمية، وأنصح القارىء إذا أراد فهم المعنى بسهولة مقارنة النص بمثيله فى التوراة العبرانية المتداولة اليوم بكثرة فى المكتبات والكنائس.

إننى لم أصلح له الترجمة للأمانة العلمية، واكتفيت بطبعها على مثال طبعة البروتستانت للتوراة العبرانية. ووجدت فى نهاية سفر الخروج هذه العبارة:«نجز السفر الثانى بعون الله وحسن توفيقه فى العشر الأوسط من شهر رمضان من شهور سنة أربع وثمانين وسبعمائة. لله الحمد والمنة وهو حسبى وكفى» أ.هـ.

أما عن الفروق بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية. فإنها كثير جداً فى الألفاظ والمعانى. ومن الفروق النص المشهور فى «الوصايا العشر» فإن هذا النص زائد فى السامرية وناقص فى العبرانية.

وبعدما بينا أن التوراة السامرية والتوراة العبرانية. كانتا فى الأصل توراة واحدة كتبها (عزرا) فى مدينة (بابل من بعد سنة خمسمائة وست وثمانين من قبل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأنه لما اختلف الأسباط غيروا وبدلوا وأن التوراة السامرية ظلت مختفية مدة ألفين وخمسمائة وأربعة وستين سنة تقريباً إلى أن أذن الله بنشرها نبين عن (التوراة اليونانية) التى يقدسها نصارى الأرثوذكس والكاثوليك من عهدهم بالنصرانية إلى هذا اليوم. ما يلى:(١)

فى عهد بطليموس الثانى (لفيوس فيلاد) سنة اثنتين وثمانين بعد المائتين من الميلاد، ترجم أحبار بنى إسرائيل التوراة إلى اللغة اليونانية، ويقال: إن ذلك تم فى مدينة (الإسكندرية).

---

(١) الدكتور أحمد حجازى السقا .

لقد ترجموا الأسفار الخمسة. وعرفت ترجمتهم بالتوراة السبعينية اليونانية ثم ترجمت مرات أخرى إلى اليونانية. والقارئ لهذه الترجمة: السبعينية أو اليونانية يحس بأنهما متشابهان فى الشكل والمضمون للسامرية أو العبرانية.

ولو قارن قارئ بين أى واحدة منهما وبين السامرية، أو بين العبرانية لاستخرج فروقا فى ألفاظ ومعان تضارع الفروق الموجودة بين السامرية والعبرانية وكذلك لو قارن بين الترجمة السبعينية والتراجم اليونانية. وعلى سبيل المثال: الآية الثالثة من الأصحاح الرابع من سفر العدد تقول (من ابن ثلاثين سنة فصاعدا إلى ابن خمسين سنة) هكذا فى العبرانية والسامرية. والسبعينية (من ابن خمس وعشرين) والآية السادسة من الأصحاح العاشر من سفر العدد تجد فيها هذه العبارة فى السبعينية ولا تجدها فى العبرانية (وإذا ضربتم هتافا ثالثا ترتحل المحلات النازلة إلى الغرب. وإذا ضربتم هتافا رابعا ترتحل المحلات النازلة إلى الشمال) وفى الآية الرابعة والعشرين من الأصحاح الخامس من سفر التكوين نقرأ فى اليونانية (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله نقله) وفى العبرانية (لأن الله أخذه) هذا عن الأسفار الخمسة.

وقد حصلت على مخطوطة التوراة السامرية هذه من مدينة «نابلس» فى سنة ١٩٧٨م وسبب حصولى عليها : أن الكاهن السامرى : عبد المعين صدقه قام بتصوير مخطوطة قديمة للتوراة السامرية كان قد ترجمها من اللغة العبرانية السامرية القديمة إلى «اللغة العربية الكاهن السامرى : أبو الحسن إسحق الصورى ، وكتبها بخط يده : أبو البركات ولما صور هذه المخطوطة صوراً كثيرة ووزعها على الراغبين فى الاطلاع عليها تلبية لرغبة البروفيسور : زهير صالح الشنا بجامعة برلين .

ولما اطلعت عليها وجدت المترجم السامرى : أبو الحسن إسحق الصورى

قد ترجم ترجمة عربية قديمة على لغة «ظلمونى الناس» أو «أكلونى البراغيث» ولم يحسن الربط بين الجمل ، ولم يراع قواعد اللغة العربية فى أواخر الكلمات أحياناً ، ولم يضع أرقاما للآيات ، ولم يضع فواصل بين الجمل كما وضع البروتستنت فى طبعتهم ، ولم يقسمها إلى اصحاحات .

لقد كان كل هدفه : نقل اللفظ العبرانى إلى لفظ عربى ، وكنت أستطيع أن أصلح له الترجمة ، ولكننى لم أفعل للأمانة العلمية ، وأنصح القارئ إذا أراد فهم المعنى بسهولة مقارنة النص بمثيله فى التوراة العبرانية المتداولة اليوم بكثرة فى المكتبات والكنائس.

إننى لم أصلح له الترجمة للأمانة العلمية ، واكتفيت بطبعها على مثال طبعة البروتستانت للتوراة العبرانية ، ووجدت فى نهاية سفر الخروج هذه العبارة: «نجز السفر الثانى بعون الله وحسن توفيقه فى العشرة الأوسط من شهر رمضان من شهور سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، لله الحمد والمنة وهو حسبى وكفى» أ.هـ .

أما عن الفرق بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية ، فإنها كثير جداً فى الألفاظ والمعانى ومن الفروق النص المشهور فى «الوصايا العشر» فإن هذا النص زائد فى السامرية وناقص فى العبرانية .

وبعدما بنا أن التوراة السامرية والتوراة العبرانية ، كانتا فى الأصل توراة واحدة كتبها (عزرا) فى مدينة (بابل) من بعد سنة خمسمائة وست وثمانين من قبل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) وأنه لما اختلف الأسباط غيروا وبدلوا وأن التوراة السامرية التى نطبعها اليوم ظلت مختفية مدة ألفين وخمسمائة وأربعة وستين سنة تقريباً إلى أن أذن الله بنشرها وعن (التوراة اليونانية) التى يقدسها نصارى الأرثوذكس والكاثوليك من عدهم بالنصرانية إلى

هذا اليوم ، ما يلى :

فى عهد بطليموس الثانى (فيلاد لفيوس) سنة اثنتين وثمانين بعد المائتين من الميلاد ، ترجم أحبار بنى إسرائيل التوراة إلى اللغة اليونانية ، ويقال : إن ذلك تم فى مدينة (الإسكندرية) .

لقد ترجموا الأسفارُ الخمسة . وعرفت ترجمتهم بالتوراة السبعينية اليونانية ثم ترجمت مرات أخرى إلى اليونانية ، والقارئ لهذه الترجمة : السبعينية أو اليونانية يحس بأنهما متشابهان فى الشكل والمضمون للسامرية أو العبرانية.

ولو قارن قارئ بين أى واحدة منهما وبين السامرية ، أو بين العبرانية لاستخراج فروقا فى ألفاظ ومعان تضارع الفروق الموجودة بين السامرية والعبرانية وكذلك لو قارن بين الترجمة السبعينية والتراجم اليونانية ، وعلى سبيل المثال :

الآية الثالثة من الأصحاح الرابع من سفر العدد (من ابن ثلاثين سنة فصاعدا إلى ابن خمسين سنة) هكذا فى العبرانية والسامرية ، والسبعينية (من ابن خمس وعشرين) والآية السادسة من الأصحاح العاشر من سفر العدد تجد فيها هذه العبارة فى السبعينية ولا تجدها فى العبرانية (وإذا ضربتم هتافا ثالثا ترتحل المحلات النازلة إلى الغرب ،

وإذا ضربتم هتافا رابعا ترتحل المحلات النازلة إلى الشمال) وفى الآية الرابعة والعشرين من الأصحاح الخامس من سفر التكوين نقرأ فى اليونانية (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله نقله) وفى العبرانية (لأن الله أخذه) هذا عن الأسفار الخمسة .

وأما عن أسفار الأنبياء فى التوراة اليونانية. فقد ذكرنا أربعة وثلثين سفرا

يقدمها العبرانية والبروتستنت ويرفضها السامريون.

ونذكر هنا: أن هذه الأسفار الأربعة والثلاثين قد ترجمها المترجمون إلى اللغة اليونانية. وضموها إلى الأسفار الخمسة.

وترجموا أيضا إلى اللغة اليونانية أسفارا أخرى هذا بيانها:

الرقم	اسم السفر	عدد الأصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١	طوبيا	١- ١٤	بعد سفر نحميا
٢	يهوديت	١- ١٦	بعد سفر طوبيا
٣	(تنمية أستير)	١٠- ١٦	بعد سفر أستير
٤	الحكمة	١- ١٩	بعد سفر نشيد الأنشاد
٥	يشوع بن سيراخ	١- ٥١	بعد سفر الحكمة
٦	باروخ	١-٦	بعد سفر مراثى إرمياء
٧	(تتمة دانيال)	٣و١٣-١٤	مع سفر دانيال
٨	المكابيين الأول	١-١٦	مع سفر ملاخى
٩	المكابيين الثانى	١-١٥	بعد المكابيين الأول

ونصارى الأرثوذكس والكاثوليك إلى اليوم يقدسون الأسفار الخمسة اليونانية بالإضافة إلى أسفار الأنبياء الأربعة والثلاثين، والأسفار الزائدة وهى : طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ والمكابيين الأول والثانى وتتمة دانيال وأستير. أ.هـ من كلام د/ أحمد حجازى أحمد السقا.

دلالة نصوص نبوءات التوراة السامرية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

فى التوراة السامرية نبوءات عن نبى الإسلام محمد ﷺ . كما فى التوراة العبرانية واليونانية. وهذه هى نصوص النبوءات ووجه دلالاتها بإيجاز على النبى محمد ﷺ .

بركة إبراهيم عليه السلام:

لقد أمره الله بالهجرة من أرض ميلاده، ووعده بمباركة الأمم فى نسله. فى هذا النص :

«وقال الله لأبرم: امض من أرضك ومن مولدك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أرشدك. لأجعلك شعباً عظيما وأبارك وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنيك ولا ألعن. ويتبارك بك كل قبائل الأرض» (تكوين ١٢: ١-٣).

ولما هَمَّ إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه البكر الوحيد. وهو إسماعيل – سر الله من قوة إيمانه وأرسل إليه ملاكا ناداه بقوله: «بى أقسمت قال الله. إن جزاء ما فعلت الأمر هذا ولم تمنع ابنك خصيصك منى. إن بركة أباركك، وكثرة أكثر نسلك ككواكب السماء ، وكالرمل الذى على شط البحر، ويرث نسلك مدن أعدائه. ويتبارك بنسلك كل شعوب الأرض. جزءا ما سمعت من قولى» (تكوين ٢٢: ١٦-١٨).

ومعنى البركة:

البركة هى الزيادة والنماء. وفى أى شىء تكون الزيادة، ويكون الثناء؟ تكون الزيادة، ويكون النماء فى نسل إبراهيم عليه السلام. أى يكون نسله كثيراً جداً ككواكب السماء فى الكثرة. فقد قال الله له فى الرؤيا «تأمل الآن السماء

وأحص الكواكب إن تقدر على إحصائها. ثم قال له: هكذا يكون نسلك» (تكوين ١٥:٥).

وهذا النسل الكثير جداً يكون أمما كثيرة. ويكون من النسل ملوك على الشعوب. فقد قال الله له: «إذ أب لجمهور الشعوب جعلتك. وأثمرك جدا جداً، وأجعلك شعوباً. وملوك منك يخرجون» (تكوين ١٧:٥-٦).

بركة إسماعيل وإسحق عليهما السلام:

وقد أنجب إبراهيم عليه السلام وهو فى السادسة والثمانين من عمره ولده البكر إسماعيل من (هاجر) وأنجب وهو فى سن المائة ولده إسحق من (سارة) والله تعالى وعد إبراهيم بتكثير نسل إسماعيل وبتكثير نسل إسحق.

فعن إسماعيل عليه السلام قال الله تعالى : «وفى إسماعيل أستجبت منك. هو ذا باركته وأثمره وأكثره جدا جداً اثنا عشر رئيساً بولد وسأجعله شعباً عظيما»[١] (تكوين ١٧ : ٢٠).

وعن إسحق عليه السلام «تجلى له ملاك الله وقال . لا تنحدر إلى مصر. اسحق فى الأرض التى أقول لك. استجز فى الأرض هذه لأكون معك وأباركك. إن لك ولنسلك أعطى كل الأراضى هذه وأثبت القسامة التى أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك ككواكب السماء وأعطى نسلك كل الأراضين هذه. ويتبارك بنسلك كل شعوب الأرض. جزاء ما سمع إبراهيم أبوك من قولى وحفظ حفظى.

---

(١) وقد تطابقت هذه النبوءة مع القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها:« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم . يتلو عليهم آياتك. ويعلمهم الكتاب، والحكمة، ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم.

وصاياى وسننى وشرائعى» (تكوين ٢٦-٢-٥).

تفسير بركة إسماعيل وإسحق عليهما السلام:

لقد فسرت التوراة البركة بأنها تعنى «أمما وملوكا على الشعوب» من نسل إسماعيل وإسحق عليهما السلام. فهل يكون مع الأمم والملوك من نسل إسماعيل عليه السلام شريعة من قبل الله عز وجل أم لا يكون؟ وهل يكون مع الأمم والملوك من نسل إسحق عليه السلام شريعة من قبل الله عز وجل أم لا يكون؟ إذا قلنا بخلو الأمم والملوك من شريعة من قبل الله عز وجل. يكذبنا الواقع. فإن الله لا يصطفى أمماً وملوكا ويتركهم بدون هدى منه. كيف يصطفى أمة ولا يعطيها كتاباً ينظم لها شئون الحياة، ويبعد أفرادها عن الظلم والجور؟ وكيف ينصب ملوكا على الشعوب بدون شريعة منه يسوسون بها هؤلاء الشعوب؟

إن الله إصطفى آل إبراهيم على العالمين. كما اصطفى آدم ونوحا عليهما السلام. ووعد بتكثير نسل إبراهيم وأن يكون فى ذريته النبوة والكتاب.

وقد تحقق الوعد بالنسبة لإسحق عليه السلام. فقد كثر نسله واصطفى الله من ذريته موسى بن عمران النبى عليه السلام على الناس ورسالاته وبكلامه. وقام أنبياء وعلماء من بنى إسرائيل من بعد موسى عليه السلام بالدعوة. وبتكثير نسل إسحق وباصطفاء موسى وبقيام أنبياء وعلماء من بنى إسرائيل بالدعوة تحققت بالفعل بركة إسحق عليه السلام.

ولا خلاف بين علماء الإسلام وعلماء أهل الكتاب فيما قلناه. وإنما الخلاف بينهم فى بركة إسماعيل عليه السلام فعلماء الإسلام يقولون إنها كبركة إسحق تعنى «أمما. وملوكا. ونبوة» وعلماء أهل الكتاب يقولون إنها كبركة إسحق لكن لا تعنى غير الأمم والملوك من بنى إسماعيل ، وأما النبوة فلا. كيف يكون هذا ومفهوم البركة بالنسبة لإسماعيل وإسحق واحد؟

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى عن بركة إسماعيل وأخيه إسحق عليهما السلام. ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحق ﴾ قال ذلك بعد ذكره قصة ذبح إسماعيل عليه السلام هكذا.

﴿ وَقَالَ(١) إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) ﴾ [الصافات]

بركة يعقوب عليه السلام:

ولقد أنجب إسحق عليه السلام ولدين هما: عيسو. ويعقوب (إسرائيل) وكان من عيسو أمم وملوك. وكان من يعقوب أمم وملوك. والنبي المشرع من قبل الله تعالى وهو موسى عليه السلام كان من نسل يعقوب عليه السلام ومن عهده ظهر الملك وظهرت الشريعة فى بنى إسحق. ولما حضر يعقوب الموت وصى بنيه وباركهم. وقال لهم ما معناه: سيظل الملك معكم، وستظل شريعة الله التى أنزلها على موسى مع العلماء من نسلكم حتى تنتهى مدة البركة الممنوحة لبنى إسحق

---

(١) القائل هو إبراهيم عليه السلام.

من الله. ونبدأ مدة البركة الممنوحة لبنى إسماعيل من الله.

لقد قال لبنيه جميعاً فى شخص يهوذا ابنه.«لايزول القضيب من يهوذه، والمرسم من بين بنوده حتى أن يأتى سليمان وإليه تنقاد الشعوب. يربط فى الجفن عيره، وفى السيروقة بنى أتانه، يغسل بالخمر لباسه وبعصير العنب كسوته. مزور العينين من الخمر، وأبيض الأسنان من الشحم»(١) (تكوين ٤٩: ١، ٢).

والنص هكذا فى التوراة العبرانية ترجمة اليسوعيين «لايزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه، حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب. رابط بالجفنة جحشه. وبأفضل كرمة بنى أتانه. يغسل بالخمر لباسه. وبدم العنب رداءه. عيناه أشد سوادا من الخمر وأسنانه أشد بياضاً من اللبن».

١- لايزول القضيب من يهوذه. أى يظل الملك مع اليهود.

٢- والمرسم من بين بنوده. أى شريعة التوراة تظل مع علماء اليهود. وتكون هذه الشريعة من سمات وعلامات ملك اليهود.

٣- حتى أن يأتى سليمان. كما فى السامرية. أو يأتى شيلو أو شيلون كما في العبرانية أى نبى السلام والأمان وهو محمد ﷺ من ولد إسماعيل عليه‌السلام(٢).

٤- وإليه تنقاد الشعوب. أشريعته عالمية.

---

(١) وقد تطابقت هذه النبوءة مع القرآن فى قوله تعالى :{أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت. إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى . قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون. تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسئلون عما كانوا يعملون} [البقرة ١٣٣-١٣٤].

(٢) انظر هامش الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٩٧٦ في هذا الموضع.

٥- يربط فى الجفن عيره.. إلخ عبارات كناية عن الرخاء والرفاهية وزيادة الخيرات فى عهد هذا النبى العظيم.

موسى يذكر أو صاف النبى الآتى من إسماعيل للبركة:

وتقص التوراة أن موسى عليه السلام نبه على نبى سيأتى من بعده، وستكون معه شريعة من الله. ويجب على بنى إسرائيل والعالم أن يؤمنوا بالشريعة التى ستكون معه. وبنو إسرائيل جميعاً لا ينكرون مجىء هذا النبى. ولا ينكرون أن ستكون شريعة إلهية معه ولا ينكرون نسخ شريعته لشريعة موسى بن عمران لأن موسى بن عمران قال لهم فى أوصاف هذا النبى: إن الله تعالى جعل كلامه في فمه وأن هذا النبى سيخاطبهم بكل ما يوصيه الله به وأن أى إنسان لا يسمع لشريعته سيقتص الله منه. وإنما يزعم البعض من بنى إسرائيل: إن هذا النبى سيكون من بنى إسرائيل. ولا خلاف بين بنى إسرائيل سامريين وعبرانيين فى نسخ التوراة على يد النبى المنتظر.

ولكن الخلاف بينهم فى «أسفار الأنبياء» الذين أتوا من بعد موسى من بنى إسرائيل. هل تقبل أم لا تقبل؟ لقد قبلها العبرانيون ليس لقبولهم مبدأ النسخ وهم يقبلونه . بل لأنها غير زائدة وغير منقصة شيئا عما جاء به موسى. ورفضها السامريون ليس لإنكارهم النسخ. وهم لاينكرونه مع النبى المنتظر. بل لأن التوراة نبهت على عدم قبول أى كتاب من نبى من بنى إسرائيل غير موسى. فى قولها« ولا يقوم أيضاً نبى. فى إسرائيل كموسى» (تثنية ٣٤:١٠).

وحيث أن النبى الذى نبهت التوراة على مجيئه مماثل لموسى. وحيث لا مثل لموسى من بنى إسرائيل. فإذن لابد وأن يكون هذا النبى المماثل لموسى الناسخ لشريعته إذا نسخ من غير بنى إسرائيل. هذه وجهة نظر بنى إسرائيل فى النبى الذى نبهت التوراة على مجيئه، النبى الذى يعتقد البعض منهم إلى

يومنا هذا أنه لم يأت بعد.

وليس من شك في أن هذا النبي الذي نبهت التوراة على مجيئه هو محمد نبي الإسلام ﷺ للبركة الموعود بها آل إسماعيل من جهة، ولأن الأوصاف منطبقة عليه من جهة أخرى. تقول التوراة. إن الله تعالى كلم موسى قائلا: اجمع بني إسرائيل ناحية جبل طور سيناء ليسمعوني وأنا أكلمك فيتأكدون من وجودي فيعلمون بما أوصيهم به.

فجمعهم موسى عليه السلام. وفي صبح اليوم الثالث وهم ناحية الجبل كانت رعود وبروق وغمام عظيم على الجبل وصوت بوق ودخان. فارتعد بنو إسرائيل وخافوا. وقالوا لموسى لا نقدر على هذا المنظر الرهيب مرة أخرى» ادن أنت واسمع كل ما يقول الله إلهنا وأنت تخاطبنا بكل ما يخاطب الله إلهنا لنسمع ونمتثل. ولا يخاطبنا الله كي لا نهلك»[1] فلما رد موسى الأمر إلى الله قال الله لموسى: أحسنوا فيما قالوا وسوف أرسل لهم نبياً في المستقبل له يسمعون ويطيعون.

النص: (وكل الشعب سمع الأصوات وصوت البوق، ونظروا الشهب والجبل دخاناً ونظر كل القوم وتشردوا ووقفوا من بعد. وقالوا لموسى إن أرانا الله إلهنا جلاله وعظمته وصوته سمعنا من وسط النار اليوم هذا نظرنا أن يخاطب الله الإنسان فيحيا، والآن كي لا نموت. إذ تحرقنا النار العظيمة هذه،

---

(١) يفهم من هذا ضمنا أن اليهود هم الذين طلبوا من الله إرسال نبي الإسلام ﷺ . لأنهم طلبوا أن لا يسمعوا صوت الله المباشر مرة أخرى. قالوا لموسى تسمع أنت من الله ونحن نسمع منك. فلو أن هذه الحادثة نفسها وقعت مرة أخرى في عصر النبوة الخاتمة بأن أراد الله مخاطبتهم بمثل ما خاطبهم به في زمن موسى ومعه لإصلاح نوع البشر في زمن لا تصلح فيهم الشريعة السابقة للإصلاح لقالوا: لا نريد أن نسمع صوت الله المباشر وليتقدم النبي ليسمع من الله. ونحن نسمع منه.

إن معاودين نحن إلى سماع صوت الله إلهنا متنا. ألا من كل البشر من سمع صوت الله الحى مخاطبا من وسط النار مثلنا فعاش؟ ادن أنت واسمع كل ما يقول الله إلهنا وأنت تخاطبنا بكل ما يخاطب الله إلهنا لك لنسمع ونمتثل ولا يخاطبنا الله كى لا نهلك. فقال موسى للقوم لا تخافوا إن سبب امتحانكم جاءت ملائكة الله وحتى تكون مخافته على وجوهكم كى لا تخطئوا ووقف القوم من بعد وموسى دنا إلى الضباب الذى هناك ملائكة الله.

وخاطب الله موسى قائلا. سمعت صوت خطاب الشعب هذا الذى خاطبوك أحسنوا فى كل ماقالوا. ياليت يبقى ضميرهم هذا لهم مخافة منى وحفظاً لوصاياى كل الأيام حتى يحسن إليهم وإلى بنيهم إلى الأبد. نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى أنا أطالبه. والمتنبىء الذى يتقح على الخطاب باسمى مالم أوصه من الخطاب. ومن يخاطب باسم آلهة آخر. فليقتل ذلك المتنبىء. وإذ تقول فى سرك. كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله؟

ما يقوله المتنبىء باسم الله ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتى. هو الأمر الذى لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبىء. (لا تخف منه) (خروج ٢٠:١٨-٢١ وتثنية ٥:٢٣-٢٨ و١٨:١٥-٢٢)

وأوصاف هذا النبى كما هو واضح من هذا النص ما يلى:

١- نبى.

٢- من بنى إسماعيل (من جملة إخوتهم).

٣- مثل موسى.

٤- أمى لا يقرأ ولا يكتب.«وجعلت خطابى بفيه».

٥- ينسخ شريعة موسى «ويكون الرجل الذى لايسمع من خطابه...».

٦- أمين على الوحى الإلهى «فيخاطبهم بكل ما أوصيه».

٧- يقضى على ملك بنى إسرائيل فى أرض فلسطين والعالم «ويكون الرجل الذى لايسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى أنا أطالبه» أى أقتص منه وأنتقم منه وأبيده.

٨- لا يقتل «والمتنبىء الذي يتقح على الخطاب باسمى مالم أوصه من الخطاب ومن يخاطب باسم آلهة آخر فليقتل».

٩- يتحدث عن غيب سيقع فى المستقبل. ويحدث الغيب كما يقول «وإذ تقول فى سرك: كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله؟ ما يقوله المتنبىء باسم الله ولايكون ذلك الأمر ولا يأتى. هو الأمر الذى لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبىء. لا تخف منه» والنصارى يقولون بأن هذه النبوءة تشير إلى عيسى ابن مريم عليه السلام. واليهود ينكرون قولهم بحجة أن عيسى من بنى إسرائيل. والتوراة تنص على أن هذا النبى لن يكون من بنى إسرائيل. لأن من أوصافه المماثلة لموسى فى الحروب والمعجزات والانتصار على الأعداء ولا نبى سيخرج من بنى إسرائيل مثل موسى.

ونقول نحن المسلمين: إن هذه النبوءة تشير إلى نبى الإسلام ﷺ لبركة إسماعيل عليه السلام. وقد شهد الزمن ببدئها لما ظهر محمد ﷺ ولانطباق الأوصاف عليه.

موسى يتحدث عن أمة ستتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل:

ويتنبأ موسى عليه السلام بمصير اليهود فى نهاية ملكهم وشريعتهم فيقول إنهم سيكبرون الله كيداً ويذبحون لآلهة غيره وينسونه ومن أجل ذلك سيرفضهم

ويحجب رضوانه عنهم ويكيدهم بسلب الملك والشريعة منهم وتسليم الملك والشريعة إلى أمة أخرى. أمة أمية فى نظر اليهود، شعب غبى[1]، أو شعب ساقط بحسب نظرة اليهود إليهم. وحيث لإسماعيل بركة فهذه الأمة أمته.

النص : «يأكل يعقوب ويشبع. يسمن إسرائيل ويمرح. سمنت. حسنت. وترك القادر صانعه، وأسخط ولى مغوثته. يسخطونه بالأجانب. والكرائة يكيدونه. يذبحون لمشيدات لا لله. آلهة لم يعرفها، محدثة من قرب أتت، ولم يتألها آباؤكم. القوى منشيك تطرح وتنسى القادر ممدك.

فينظر الله ويرفض من كيد خواصه وخصيصاته. ويقول: أحجب رضوانى عنهم لأنظر ما آخرتهم. إذ جيل متقلب هم. بنون ليس أمين فيهم. هم أسخطونى بغير قادر. أكادونى بهبائهم. وأنا أغيرهم بغير قوم. بشعب ساقط أكيدهم»[2] (تثنية ٣٢:١٥-٢١).

موسى يؤكد على بركة إسماعيل :

النص : «وهذه البركة التى بارك موسى رسول الله بنى إسرائيل قبل وفاته. فقال: الله من سينين أتى. وأشرق من الشعر. ولهم لمع من جبل فاران. ومعه من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. أيضاً محب الشعوب. وكل

---

(١) كما فى العبرانية.

(٢) وقد تطابقت هذه النبوءة مع القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥﴾ [الجمعة :١-٥].

أقداس أقداسه بيدك. وهم يخضعون لرجليك، ويتحملون من أقوالك» (تثنية ٢٣:١-٢).

١- فالإتيان من جبل سينين (سيناء) إشارة إلى شريعة موسى عليه السلام.

٢- والإشراق من الشعر (جبل ساعير) إشارة إلى علماء بنى إسرائيل ومنهم عيسى عليه السلام الذى اصطفاه الله نبى. وكانوا كلهم على شريعة موسى لم ينقضوا منها أى حكم ولم ينسخوا.

٣- واللمعان من جبل فاران. إشارة إلى مكة المكرمة لأنها سكنى إسماعيل عليه السلام وبنيه. وله بركة. فقد قال الله عنه لإبراهيم «وفي إسماعيل استجبت منك. هذا باركته، وأثمره وأكثره جداً جداً اثنى عشر رئيساً يلد وسأجعله شعباً عظيماً» (تكوين ١٧: ٢٠) وقال عنه ملاك الله لهاجر أمه «يده بالكل، ويد الكل به وحول كل إخوته يسكن» (تكوين ١٦:١٢) وأيضاً: «نادى ملاك الله إلى هاجر من السماء وقال لها مالك لاى هاجر. لا تخافى. إن سمع الله صوت الفتى من حيث هو هناك. قومى احملى الفتى وشدى يدك به. إن شعباً كبيراً سأجعله. وجلى الله بصرها فنظرت بئر ماء وذهبت وملأت المزادة ماء وسقت الفتى. فكان الله مع الفتى وكبر وسكن فى البرية وكان شديد القوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر» (تكوين ٢١ : ١٧. ٢١).

٤- ومعه من ربوات القدس. أى مع النبى المنتظر من فاران جماعات من الصحابة الأطهار.

٥- وعن يمينه نار شريعة لهم. وأى سيكون النبى المنتظر صاحب شريعة مثل موسى وسيكون محارباً ومنتصراً مثله.

٦- وكل أقداس أقداسه بيدك، أى جميع العلماء الأمناء والطاهرين لا يخرجون على أصول الشريعة الإسلامية.

٧- وهم يخضعون لرجليك، أى لا يشرعون للناس بغير ما شرعه رسول الله ﷺ .

٨- ويتحملون من أقوالك، أى يستنبطون من القرآن الكريم ما يحل مشكلات البشر.

وهذا التفسير بحسب التراجم الكثيرة لهذا النص فى العبرانية، ففى ترجمة اليسوعيين هكذا: « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته، فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتجلي من جبل فاران وأتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم، إنه أحب الشعب، جميع قديسيه فى يدك، وهم ساجدون عند قدمك، يقتبسون من كلماتك»(١).

اسم محمد ﷺ فى التوراة :

فى بركة إسماعيل فى هذا النص: «وفى إسماعيل استجبت منك، هو ذا باركته وأثمره وأكثره جداً جداً، اثنا عشر رئيساً يلد، وسأجعله شعباً عظيما» نجد كلمة «جداً جداً» ونجد كلمة «شعباً عظيما» وجداً جداً فى اللغة العبرانية «بماد مادش وشعباً عظيما فى اللغة العبرانية «لجوى جدول».

وقد قال كثير من علماء اليهود السامرين والعبرانيين: إن كاتب التوراة قد

---

(١) وقد تطابقت هذه النبوءة مع القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿والتين والزيتون . وطور سنين.. وهذا البلد الأمين﴾ فالتين والزيتون إشارة إلى ساعير، وطور سينين إشارة إلى جبل سيناء، والبلد الأمين إشارة إلى مكة المكرمة.

وضع بماد ماد ولجوى جدول في سياق بركة إسماعيل. لتدل كل كلمة منهما على اسم النبى الآتى من إسماعيل للبركة بحساب الجمل. أى إذا أتى من آل إسماعيل من يدعى النبوة يقارنون إسمه على «بماد ماد» أو «لجوى جدول» فإذا وجدوا اسمه مساوياً بحساب الجمل لحساب بماد ماد أو لجوى جدول. يعرفون أنه النبى المنتظر من آل إسماعيل.

وكلمة محمد بحساب الجمل عددها اثنان وتسعون لأن الميم الأولى بأربعين والحاء بثمانية والميم الثانية بأربعين والدال بأربعة وبماد ماد بحساب الجمل عددها اثنان وتسعون لأن الباء باثنين والميم الأولى بأربعين والألف بواحد والدال بأربعة والميم الثانية بأربعين والألف بواحد والدال بأربعة. ولجوى جدول بحساب الجمل عددها اثنان وتسعون لأن اللام بثلاثين والجيم بثلاثة والواو بستة والياء بعشرة والجيم بثلاثة والدال بأربعة والواو بستة واللام بثلاثين.

وحساب الجمل هو حساب الأعداد للحروف الهجائية فى اللغة العبرانية هذه الكلمات (أبجد - هوز- حطى - كلمن - سعفص- قرشت) والألف بواحد والباء باثنين والجيم بثلاثة والدال بأربعة والهاء بخمسة والواو بستة والزاى بسبعة والحاء بثمانية والطاء بتسعة والياء بعشرة والكاف بعشرين واللام بثلاثين والميم بأربعين والنون بخمسين والسين بستين والعين بسبعين والفاء بثمانين والصاد بتسعين والقاف بمائة والراء بمائتين والشين بثلاثمائة والتاء بأربعمائة. والحروف تنتهى عند التاء.

يقول الدكتور أحمد حجازى السقا :

وقد نقلنا عن السامريين والعبرانيين والنصارى قولهم بحساب الجمل واعترافهم به فى كتابنا «نبوءة محمد فى الكتاب المقدس» نشر دار الفكر العربى بمصر.

وفى زمن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قال بنو إسرائيل إن النبى الذى نبه الله على مجيئه بقوله «نبياً اقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه» لم يأت بعد. واعترف النبى يحيى ابن النبى زكريا بأنه ليس هو لما سأله علماء من بنى إسرائيل عنه. ففى إنجيل يوحنا أن وفداً من علماء بنى إسرائيل ذهب إلى يحيى (يوحنا المعمدان) وسألوه عن نفسه وأجاب بالحق. وهذه نص شهادته: « وهذه هى شهادة يوحنا إذ أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت ؟ فاععترف ولم ينكر واعترف أنى لست المسيح. فسألوه: إذن ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست إياه. النبى أنت ؟ أجاب: كلا[1] . (يوحنا ١:١٩. ٩).

لقد انكر أنه هو النبى الذى أخبر عنه موسى. وقد كان معاصراً للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذى لم يؤثر عنه الاعتراف بأنه هو. وعلى شهادته هذه يكون هذا النبى من بعدهما آت. وحيث الأوصاف منطبقة على نبى الإسلام ﷺ وهو من نسل إسماعيل المبارك من الله. فإنه يكون هو المراد.

وقد تطابقت نبوءة التوراة «نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك ... إله» ونبوءة الإنجيل «ألنبى أنت ؟ أجاب : كلا. تنطبق مع القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

(١) يقول السامريون : إن النبى هو نفسه المسيح. ويقول السامريون. إن سفر ملاخى الذى يتحدث عن نبوءة إيليا لا نعترف به، ولا نعترف بإيلياء.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف].

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [المزمل].

المسيا - المسيح

وكان من عادة الكهنة (العلماء) فى بنى إسرائيل مسح الملوك عند توليهم الرئاسة بدهن، أو بزيت مخصوص. وكانوا يمسحون أيضاً: العلماء والأنبياء.

ويطلقون على الملك الممسوح أو العالم أو النبى، لقب «مسيا» الذي تفسيره «المسيح» دلالة رعلى أنه هو الذى اختاره واصطفاه.

وأصل الكلمة فى اللغة العبرانية: «ماما شيح» وفى الآرامية (السريانية): «ماشيح» وفى اليونانية « .مسيح» ودخلت فى اللغة العربية من اليونانية.

وحرفت لهجة «ماشيح» عند اليهود فى زمن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى «مسيا».

ودليل فعل العلماء فى المسح آيات فى سفر الخروج منها قول الله لموسى: «وتلبس هرون الثياب المقدسة، وتمسحه، وتقدسه، ليكهن لى. وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة. وتمسحهم كما مسحت آباهم ليكهنوا لى . ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم» (هروج ٤٠:١٣-١٥).

وقد مسح صموئيل طالوت (شاول) لما اصطفاه الله ملكا على بنى إسرائيل كما هو مبين فى سفره. ومسح داود عليه السلام مرتين. ومسح أيضاً سليمان، وكذلك إيليا، وأليشع (إلياس واليسع) وعلى عادتهم هذه كان موسى عليه السلام مسيحاً لأنه كان نبياً وعالماً وملكاً وكان هرون مسيحا لأنه كان نبيا

وعالما ولم يكن ملكا وكان داود مسيحا لأنه كان نبيا وملكا ولم يكن عالما لأنه لم يكن - بحسب شريعتهم من نسل هرون العلماء الكبار، ولا من نسل لاوى العلماء العاديون. وكان قروشن ملك فارس مسيحاً لأنه كان ملكا. ولم يكن نبياً وعالماً. وكل حبر فى بنى إسرائيل أو ربانى يلقب بلقب مسيح للعلم دون الملك والنبوة. وكان عيسى ابن مريم عليه السلام مسيحاً لأنه كان نبياً وعالماً ولم يكن ملكاً.

ولما كان لقب «مسيا» أو «مسيح الله» لقباً معظماً فى بنى إسرائيل يتفاخر بحمله الملوك والعلماء والأنبياء. ولما كانوا هم ينتظرون نبياً، يريدون أن يوهموا الناس أنه سيكون من جنسهم. قالوا: إننا ننتظر نبياً، ولقبوه بلقب «المسيا» أى المسيح. ويقولون: إن الدليل على انتظارنا للمسيح : هو النبوءات الموجودة في الأسفار الخمسة عن النبى المنتظر.

يقول الدكتور أحمد حجازى السقا :

وسأذكر نص النبوءات من الترجمة العبرانية سنة ١٩٧٠م وتعليق مفسرى التوراة عليها هذه النبوءات التى أوضحنا من قبل أنها تشير إلى نبى الإسلام ﷺ .

١- «يقيم لك الرب إلهك، نبياً. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسعون.. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامى الذي يتكلم به باسمى أنا أطالبه. وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت(١) ذلك النبى. وإن قلت فى قلبك -كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث،

---

(١) فى التوراة السامرية، وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : فليقتل ذلك النبى..

ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه» (تثنية ١٨: ١٥-٢٢).

يقول مفسرو التوراة فى هذه النبوءة :«يعلن موسى إعلاناً نبوياً، مسيانياً، عن النبى الذى سيأتى، الذي سيخلفه فى وظيفته كنبى ... إلخ»[١].

٢- وتنص التوراة على أن النبى المنتظر سيظهر، إذا ما أوشك ملك بنى إسرائيل على الزوال، فقد قال يعقوب عليه السلام: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (تكوين ٤٩ : ١٠).

يقول مفسرو التوراة فى هذه النبوءة: «حتى يأتى شيلون» هذه عبارة صعبة. لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذاك الذي يعتبرها نوعاً من الحديث عن المسيا، إذا تحرك الحرف الساكن- وهو أمر مسموح به فى اللغة العبرية- فإن الكلمة يمكن أن تترجم «الذى له»[٢].

٣- ويقول كاتب التوراة: إن موسى بارك بنى إسرائيل قبل موته. فقال «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» (تثنية ٣٣:١-٣).

يقول مفسرو التوراة في هذه النبوءة: «فى يدك : الانتقال إلى ضمير المخاطب جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى[٣]».

---

(١) ص ٤٥٢ المجلة الأولى . تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين- برئاسة الدكتور فرانسيس دافيدسن طبعة بيروت.

(٢) س ٤١٠ المرجع السابق.

(٣) ص ٤٧٠ المرجع السابق.

فأنت ترى أن نبوءات الأسفار الخمسة السامرية والعبرانية التى تدل على محمد ﷺ هى التى توضح حقيقة المسيا المنتظر أى «المسيح» عند بنى إسرائيل فعلى ذلك يكون المسيح المنتظر (المسيا) هو محمد رسول الله ﷺ - بحسب لغتهم ولسانهم- وقد أطلق اليهود عليه لقب المسيا، أى المسيح ليظهروا للعالم كذباً أنه سيكون منهم لا من بنى إسماعيل.

ومن قبل سبى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد كانت نصوص نبوءات التوراة صريحة فى رسول الله ﷺ. وفى مدينة (بابل) وضع علماء بنى إسرائيل نصوص نبوءات التوراة عن محمد رسول الله ﷺ فى أسلوب يحتمل معنيين فى نظر العوام. إما هو، وإما نبي من بنى إسرائيل، ولما رجع بنو إسرائيل من بابل اختلفوا فى تحديد السبط الذي سيأتى منه هذا النبى. فقال السامريون: سيأتى من سبط يوسف الصديق عليه السلام. وقال العبرانيون : سيأتى من سبط يهوذا من نسل ولده داود عليه السلام لأنه مؤسس المملكة.

ولما ظهر عيسى عليه السلام فى مملكة العبرانيين وكانت رسالته تتلخص فى أنه مصدق لما بين يديه من التوراة غير ناسخ، ومفسر لما اختلف فيه العلماء من مدلول آيات التوراة، ومحلل لبعض ما حرمه علماء بنى إسرائيل على الناس، من تلقاء أنفسهم. ومبشر بنبى الإسلام محمد ﷺ ، ذهب إلى مدن العبرانيين وقراهم وإلي مدن السامريين وقراهم يبشر بنبى الإسلام ﷺ . وفى مدينة من مدن السامريين قالت له امرأة منهم: «أنا أعلم أن مسيا، الذي يقال المسيح يأتى. فمتى.

ولما تأكد اليهود العبرانيون من أنه آخر أنبيائهم، وأن ملك بنى إسماعيل أوشك على الظهور فى شخص محمد ﷺ ائتمروا فيما بينهم على لبس الحق بالباطل. ففريق منهم رأى أن يقول: إن نصوص نبوءات التوراة عن النبى المنتظر تدل على عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو المسيح المنتظر. وبذلك يقفلون باب

النبوة فى وجه بنى إسماعيل، ويقصرون النبوة والكتاب على بنى إسحق وحدهم. إلى يوم القيامة وفريق منهم رأى أن يقول: ليس بلازم أن نقول بدلالة نصوص نبوءات التوراة على عيسى ابن مريم عليه السلام. فإنه يمكننا إذا ما ظهر نبى بنى إسماعيل أن نقول: ليس هو المراد، ومازلنا فى انتظار النبى الذى لم يأت بعد.

وتزعم الفريق الأول «بولس» فقد جاء عنه فى سفر أعمال الرسل. «وأما شاول فكان يزداد قوة، ويحير اليهود الساكنين فى دمشق : أن هذا هو المسيح» (أعمال ١١:٢٢) والنصارى إلي اليوم على مذهبه. ونحن نعترف أن عيسى عليه السلام «مسيح» كسائر المسحاء فى عرف بنى إسرائيل. ولكن لا نعترف أنه «المسيح» الذى تشير إليه نبوءات التوراة.

قصص بنى إسرائيل
فى التلمود

صور مزورة عن الله عز وجل فى التوراة المحرفة :[1]

تصور التوراة المحرفة الله جل جلاله بصورة بشعة، كلها نقص وضعه، بل كل عذر ابن آدم وضعفه هو فى الإله .. وهو رب العالمين بل رب إبراهيم وإسحق ويعقوب (إسرائيل) وبنى إسرائيل. إذن هو إله إقليمى عنصرى لا يحب سوى بنى إسرائيل ، ولا يعترف بسواهم أبناءً له .

ففى الأصحاح الثالث من سفر التكوين (العدوان ٢٣ ، ٢٤) جاء : «وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن؛

ليعمل فى الأرض التى أخذ منها فطرد الإنسان (آدم عليه السلام) وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم (وهم الملائكة الكروبيون لحراسة شجرة الحياة خوفاً من أن يأكلها آدم) ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة».

وفى الأصحاح السادس من سفر التكوين العددان ٢ ، ٣ جاء هذا النص : «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) رأوا بنات الناس حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا .. وبعد ذلك إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة والفراعين هم من نسل أبناء الله

---

(١) ما قبل الدمار - أ. محمد عيسى داود .

وبنات الناس)، ولكن اليهود بالطبع هم الأبناء المختارون وهم الأحباء لله. وقد كذبهم الله تعالى فى القرآن الكريم حيث زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، كما زعموا أن عزيراً ابن الله.

يقول الله تعالى ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم ممن خلق ﴾

يقول تعالى ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾

وفى سفر التكوين نقرأ أسطورة كلها سخافة وتنقص لله تعالى بالأصحاح ١١، الأعداد ١ ـ ٩ : «إن الإله عندما رأى أن البشر قد اجتمعوا، وصار لهم لسان واحد وبنوا مدينة كبيرة،

فخشى أن يصبح البشر آلهة تنافسه فى حكمه؛ فنزل وبلبلهم، ولذا سميت مدينتهم بابل، وكانت لساناً واحداً ولغة واحدة، وقالوا: هلم نبنى لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض.

فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما، وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم العمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض؛ فبددهم الرب من هنالك على وجه كل

الأرض كفوا عن بنيانه المدينة لذلك دعى اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه الأرض» .

وإذا كان (الله) يخاف أن يتحول البشر لآلهة - تعالى عن ذلك علواً كبيراً وتنزه الذى بيده الملك - فلا عجب أن نجد فى التوراة يعقوب يتعارك معُ الله طول الليل؛ فيأخذ العهد من الرب عنوة له ولنسله إلى أبد الآبدين، بعد أن نَجح العبد يعقوب فى هزيمة الله الذى لم ينتصر إلا بحيلة ضرب يعقوب على حقويه ..

كما أنّ الرب يتجسد فى صورة بشر - فلا عتب إذن على المسيحيين عند اليهود؛ فقد ظهر الرب ليعقوب فى صورة إنسان فى إحدى الليالى فعاركه يعقوب حتى الفجر، ولم يرض أن يطلقه حتى أعطاه العهد والبركة».

وفى سفر التكوين (الأصحاح ٣٢ / ٢٣ - ٣٢)، جاء هذاالنص : «فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه، وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال يعقوب : لا أطلقك إن لم تباركنى فقال له (الرب): ما إسمك ؟

فقال : يعقوب، فقال : (الرب) لا يدعى إسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت (أى صارعت) مع الله والناس وقدرت، وقال (يعقوب): أخبرنى باسمك. فقال الرب: لماذا تسأل عن اسمى، وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فيفئيل قائلاً : لأنى نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسى (بمصارعته)» .

* أما التلمود : فالرب يبكى ويشتم نفسه لأنه شرد أولاده اليهود !! حاشا لله، وتعالى شأنه ، وجل جلاله !!

جاء فى التلمود : «يقول الرب : «تباً لى أمرت بخراب بيتى وإحراق الهيكل وتشريد أولادى» .. وحينما يسمع اليهود يمجدونه رغم ما فعل بهم يقول : «طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك ، وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك؛ لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء .

ومنذ ذلك الحين والرب (تعالى الله على ذلك علوا كبيراً) يقضى يومه كالآتى : «يبكى على تشريد أبنائه اليهود» ..

يتدارس التوراة ويتلوها ..

يدير شئوون العالم .. وبعد اعتراف الله خطئه بتخريب الهيكل صار يبكى ويزأر قائلاً : تَباً لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى. وتسقط كل يوم منه دمعتان فى البحر؛ فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض - فى أغلب الأحيان - فتحصل الزلازل، وكان الله قبل تحطيم الهيكل يطالع الشرعة (التوراة) ثلاث ساعات، ويحكم ثلاث ساعات، ويطعم العالم ثلاث ساعات ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ثلاث ساعات» .

ثم يقول أكاذيب وترهات بل سفالات التلمود وشياطينه :« إنه لا شغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة. ومع الشياطين المسمى (أسمودية) فى مدرسة السماء ! ثم إن أسمودية ينصرف من السماء بعد صعوده إليها كل يوم. والحوت كبير جداً يمكن أن تسع حلقه لسمكة طولها

٣٠٠ ميلاً دون أن تضايقه؛ لأنه إن لم يفعل ذلك إمتلأت الدنيا وحوشاً تلتهم من فيها ، ولهذا حبس الله الذَّكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى وملحها، وأعدها لطعام المؤمنين فى الفردوس. ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، ومن ذلك الوقت لم يمل الرقص مع حواء بعد أن زينها بملابسها، ونسق لها شعرها» !! تعالى الله عز وجل علوا كبيراً عما يصفون وعما يفترون .. كتب الله ما قالوا وسوف يرون .. وكل موعود من الله آت لا محالة وقريب جداً .

* والله عز وجل المنزه عن كل عيب ونقص، الذى قال عن نفسه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ (٣٨) ﴾ [ق] ،

نراه فى التلمود يستريح :« وعندما خلق الله الكون تعب واستراح فى اليوم السابع وهو السبت » ولذا فالسبت مقدس عند اليهود !!

والله عز وجل القوى الجبار الذى يقول :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾ [الروم] ،

نراه فى سفر التكوين (الأصحاح الثانى / ٣ : ٤) :«وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» !!

حاشا لله عز وجل : ﴿أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون﴾

* أما الأنبياء فى التوراة المحرفة فمدمنو خمر ولصوص وزناة : ولم تتورع التوراة المحرفة الموجودة اليوم بأيدى اليهود والمسيحيين باسم العهد القديم، التى تشكل ثلثى الكتاب المقدس الذى يتعبد به المسيحيون أيضاً، عن أن تلصق بالأنبياء عليهم السلام كل نقيصة، بل الرذيلة التى تصل إلى حد الإنجاب من الحرام، بل من المحارم هى من دينهم !!

فنوح عليه السلام يشرب الخمر ويلعن كنعان ويجعل بركته لسام (جد اليهود) .

جاء فى سفر التكوين : «إن نوحاً عليه السلام ـ شرب الخمر ففقد وعيه، وانكشفت سوءته فرآه ابنه حام على هذه الصورة فأخبر أخويه ساماً ويافث اللذين قاما بكل أدب وأخذا رداءً وسترا أباهما. فلما أفاق نوح من سكرته قال: ملعون كنعان(١) عبد العبيد يكون لإخوته، مبارك الرب إله سام(٢). وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم» (٣).

---

(١) وهو ابن حام ، وليس له ذنب إلا أن الكنعانيين هم أصل سكان فلسطين .

(٢) سام هو جدُّ المسلمين واليهود .

(٣) يستحسن لمن أراد الإطلاع على القصة بطولها مراجعة التوراة ـ سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع ـ الأعداد من ١٨ : ٢٧ .

وبهذه اللعنة تنتهى هذه الحكاية الحافزة للفكر؛ فلنتأمل فيها قليلاً، ولنتذكر ونحن نمعن الفكر فى هذا الكلام نقاطاً هامة توارتيه وتاريخيه قد تساعدنا على ما وراء الحكاية. وفيما يتعلق بالتوراة، يتصف تصور الكهنة الذين كتبوها حرروها أعادوا كتابتها طوال قرون بإيمان لا يطاوله شك فى أتوماتيكية البركة واللعنة، وتتضح تلك الأتوماتيكية بأجلى صورها فى حكاية البركة التى حصل عليها يعقوب من أبيه إسحاق بالخديعة.

ونلاحظ قول كاتب النص بغير داع فى الواقع إلا الإعداد للعنة التى كتبت الحكاية من أجلها : «وكان بنو نوح ساماً وحاماً ويافث» ثم قوله : «وحام هو أبو كنعان» فالسياق المنطقى للحكاية أن نوحاً عندما خرج من الفلك كان أباً لثلاثة أبناء.

وأن كل الأرض تشعبت من أولئك الأبناء الثلاثة ، فما الداعى لذكر كنعان تخصيصاً فى ذلك السياق ؟ وإن كان المقصود ذكر أبناء سام وحام ويافث ، فَلِمَ لَم تُذكر أسماؤهم التى أوردها العهد القديم بعد ذلك تفصيلاً فى الأصحاح العاشر من سفر التكوين. واضح أن الحكاية كتُبت وهدفها الوصول إى لعنة كنعان المسكين، الذى لم يكن الذنب ذنبه فى واقع رواية سفر التكوين ، بل ذنب أبيه حام الذى رأى عورة نوح فلم يسترها .

والنقطة الثانية التى تستدعى الأنتباه كون النص يؤكد تأكيداً متواصلاً ومتكرراً حافزاً للفكر على كنعان : «وحام هو أبو كنعان»، «فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه»، «فلما استيقظ نوح من خمره وعلم ما فعل به حام قال ملعون كنعان»، وقال : «عبد العبيد لإخوته» وقال : «ولكن كنعان عبداً لهم» لأبناء سام ، ثم عاد مؤكداً : «وليكن كنعان عبداً لهم» .

أما الثلاثة فهى أنّ الجد نوحاً وسط هذه اللعنات المنصبة على رأس كنعان المسكين يقول : «مبارك الرب إله حام»، أى «مبارك الرب إله العشيرة» التى كتبت الحكاية من أجل اعطاء البعد الإلهى والسلطة الإلهية لاشتهائها أرض كنعان(١).

وإبراهيم عليه السلام تصوره التوراة بأنه ديوث ناكح أخته :

الرجل الذى قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾[النحل]

وتُسمى سورة من القرآن الكريم باسمه تكريماً له، وقال فيها ربنا حاكياً عن خطابه لله :

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾ [إبراهيم]

نراه فى التوراة زانيا عاهراً ، ففى سفر التكوين (الأصحاح ١٢ ، الأعداد ١٠ ـ ١٥) : «وحدث جوع فى الأرض فانحدر إبرام (إبراهيم) إلى مصر؛ ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارى (سارة) امرأته : إنى قد علمت أنك إمرأة

(١) إن لم يكن ذلك كذلك فلم لم تنصب اللعنة على حام ، وهو المذنب برؤية عورة نوح المخمور، أو لماذا لم تنصب على كل أبناءه حام وهم كثر ، لماذا اقتصرت على كنعان وحده ؟ ! ولماذا حقيقة بارك نوحاً الرب بوصفه إله سام وحده ؟! ولهذا ينظر اليهود على أن الكنعانيين سكان فلسطين عبيد لهم .. وهذا عندهم اعتقاد دينى لا يقبل الحوار .

حسنة المنظر، فيكون إذ رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك، قولى إنك أختى؛ ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتن وجمال» .

وتتكرر نفس القصة مع أبى مالك ملك فلسطين ، حيث قام إبراهيم بتقديم زوجته سارة إلى الملك؛ كى يستلم منه هدايا وعبيداً وأموالاً، وعندما علم أبو مالك أن سارة هى زوجة إبراهيم عاتب إبراهيم لقوله ذاك فقال إبراهيم: «وبالحقيقة هى أيضاً أختى أبنة أبى غير أنها ليست أبنة أمى، فصارت لى زوجة وجدت لما أتاهنى الله من بيت أبى أنى قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين إلى فى كل مكان نأتى إليه قولى عنى هو أخى». (سفر التكوين الأصحاح ٢٠ / ١٢ ـ ١٣).

* ولا تجد فى التوراة المحرفة أن الأنبياء يدعون أحداً إلى عبادة الله الواحد الأحد، بل تجدهم يمكرون ويخدعون ويسرقون ويكذبون ويزنون ويشربون الخمر، وتحمل نساؤهم معهم الأوثان فيعبدونها ويتحدثون عن سليمان عليه السلام بأنه عبد الأوثان مع زوجاته الألف وأن هارون هو الذى صنع لبنى إسرائيل العجل الذهبى ليعبدوه ، وأنه عبده معهم .

وإسحاق أيضا يقول عن زوجته إنها أخته :

فى سفر التكين (الأصحاح ٢٦ الأعداد ١ ـ ٧) : «وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان أيام إبراهيم فذهب إسحاق إلى أبى مالك ملك الفلسطينيين، وسأله أهل المكان عن إمرأته فقال : هى أختى؛ لأنه

خاف أن يقول إمرأته لعل أهل المكان يقتلونه من أجل رفقه (زوجته) لأنها كانت حسنة المظهر».

ونجد العهد الأبدى لإسحاق ونسله إلى أبّد الأبدين (سفر التكوين الأصحاح ١٧: ١٩/ ٢٠) :

«وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك فقال الله : بل سارة أمرأتك تلد لك تدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده».

* وفى التوراة نجد الغيرة فى بيت النبوة ذلك المرض الشيطانى ، ونرى الله يقر الظلم الناتج عنها ، ونرى المجامله والمحاباة .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

ففى سفر التكوين (الأصحاح ٢١ : ٩ ـ ١٢) جاء ما يلى :

«ورأت سارة ابن هاجر المصرية (أى إسماعيل) الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لأبراهيم : أطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق فقبح الكلام فى عينى إبراهيم لسبب ابنه فقال الله لإبراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ؛ لأنه بإسحاق يدعى لك نسل» .

وهى صورة بشعة لله تعالى عن ذلك علوا كبيراً ـ حيث يقر الظلم ويحابى سارة وابنها محاباة الظالم الذى لا يبالى بالحق .. وهم يكذبون على الله وعلى إبراهيم وعلى سارة .. وتقول التوراة المحرفة : «فقال إبرام لسارة

هى ذى جاريتك فى يدك افعلى بها ما يحسن فى عينيك؛ فأذلتها سارة فهربت من وجهها» (التكوين أصحاح ١٦ : ٧٨ ـ ٦) .

ولهذا يعتقد اليهود أن من حقهم إذلال الشعوب الأخرى وامتصاص دمائها وإفسادها ويعتقدون أن العرب أبناء إسماعيل ليس لهم من إرث إبراهيم من شئ، وأنهم هم شعب الله المختار، لأن الله سمع لسارة وجاراها فى ظلمها القبيح لهاجر وابنها وأن إبراهيم امتثل لأمر الله فى أن يطيع سارة، وأن يعتبر ألا نسل له إلا من إسحاق، وأن العهد ليس إلا لأسحاق وهى صورة موغلة فى الحقد والغل والحسد .

وهو يوضح العقد النفسية التى تمكنت من اليهود ويفسر لنا لماذا تصور أجهزة الإعلام اليهودية فى الغرب العرب بصورة بشعة قذرة حتى أن الخنازير تقوم بمظاهرة عندما سمعت من يشتم العرب ويقول لهم أنتم خنازير وقد نشرت ذلك جريدة (الصن) اللندنية الواسعة الانتشار، والتى يمتلكها مردخ صاحب إمبراطورية الصحافة وعشرات الصحف والمجلات .

ونجد يعقوب يمكر ويخدع أباه إسحاق ليأخذ العهد من أخيه عيسو :

تتحدث التوراة المحرفة عن العهد يكون للابن الأكبر، وهذا العهد متسلسل من الرب إله إبراهيم وإسحاق إلى إسرائيل وبنيه، والرب لديهم ليس رباً للعالمين بل هو رب إسرائيل وشعبه فقط، وبما أن لإسحاق ولدين : أحدهما يدعى عيسو وهو الابن الأكبر والآخر يعقوب. فإن العهد ينبغى أن يكون لعيسو.

وكان عيسو كثير الشعر صياداً جلداً، بينما كان يعقوب حسبما

تصفه التوراة المحرفة ناعم الجلد ماكراً (سفر التكوين، الأصحاح ٢٥) .

«وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا ابنى فقال (عيسو) : هأنذا فقال : إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى، فالآن خذ عدتك جعبتك واخرج إلى البرية، وتصيَّد لى صيداً، واصنع لى كما أحب، وآتنى بها لآكل ؛ حتى تباركك نفسى قبل أن أموت» (التكوين / ٢٥ : ٣٠).

هنا ملاحظة أن مسألة الأكل والقرابين فى منتهى الأهمية عند اليهود فى توراتهم الأصلية وأيضاً فى المحرفة لها بقايا مع الشوائب فإبراهيم لم يستحق العهد والتكريم من الله لأنه عبد الله ودعا إلى الوحدانية، إذ لا يوجد ذكر لذلك مطلقاً فى التوراة المحرفة بل لأنه قدم للرب أغناماً وحرقها فى المحرقة فتنسم الرب رائحة الحريق وامتلأ قلبه بالرضا .. ثم ازداد عطشه للدماء والحريق فطلب من إبراهيم أن يحرق ابنه إسحاق كما يزعمون، ففعل إبراهيهم ذلك وهناك أعطاه العهد الأبدى له ولنسله وأنقذ إسحاق ثم قام إسحاق بتقديم القرابين من الأنعام ووضعها فى المحرقة فتبسم الرب الرضا عندما شم المشوى!! وكذلك فعل يعقوب أبناؤه .. ولا تجد أى ذكر لتوحيد الله وعبادته والدعوة إليه فى التوراة والتلمود المحرفين .

ولنعد لقصة يعقوب وكيف احتال هو وأمه رفقة ليأخذا البركة والعهد من إسحاق الأعمى بالخداع، ورغم أن رفقه هى أم عيسو أيضاً إلا أنها كانت تحب ابنها الأصغر يعقوب، فعندما سمعت كلام إسحاق لعيسو دعت يعقوب قائلة : «أنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً : أئتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى، فالآن با اينى (يعقوب) اسمع لقولى فيما

آمرك به، اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين من المعز فاصنعهما لأبيك كما يجب ليأكل حتى يباركك قبل وفاته» .

وقامت رفقة بإلباس يعقوب ثياب عيسو الفاخرة كما جعلت على يديه وعنقه جلد معز وأعطته ليقدمها لأبيه إسحاق .

«دخل (يعقوب) إلى أبيه وقال : يا أبى عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى ثم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك». فاستغرب اسحاق الصوت والسرعة فى إحضار الصيد فقال يعقوب : «إن الرب إلهك قد يسر لى»، وطلب إسحاق من يعقوب الكاذب أن يقدم ليجسه فجد يديه وعنقه مشمرتين، فقال إسحاق : الصوت صوت يعقوب ولكن يدا عيسو، ثم أكل إسحاق من طعام يعقوب وشرب خمراً.

ومع هذا بقى الشك فى نفس إسحاق فطلب من يعقوب ظاناً أنه عيسو وقال : فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمرة ليستعبد لك شعوباً وتسجد لك قبائل. كن سيداً لإخوتك ليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين» .

* وبصمة المسيخ الدجال ـ عليه اللعنة ـ واضحة تماماً فى هذا النوع الصفيق من الغش، الذى ألصقه اليهود بالأنبياء وأسرهم .. غش الأب الإبنه يبدو كما لو كان مستخدماً لدى العشيرة، وغش الزوجة لزوجها الشيخ الجليل، وغش الأخ لأخيه، وغش الأم لابنها، كله شائع فى العهد القديم، متدفق فيه الدم فى شرايين الجسم، فعمل الدجال هو (الغاية تبرر الوسيلة).

والغاية كما هو واضح من نص سفر التكوين الأصحاح (٢٧) هى اغتصاب تسلسل للأنساب يبدأ من إبرام الآرامى الذى أصبح إبراهام العبرانى، ويمر بإسحاق ليصل إلى يعقوب الذى سيصبح اسمه (إسرائيل). ويرى الأستاذ شفيق مقار فى رائعته (قراءة سياسية للتوراة) «أن كل هذه الحكايات كتبت بيد مؤلفين يُهود من سلالة يهوذا فى عصور متأخرة للغاية، وحررت وحرفت هندست لتعطى البشرية ذلك الكل العجيب من التلفيقات، وفى حمأة الحماس الكهنوتى لتحقيق تلك الغاية،

ويبدو أنه فات من الفوا الحكاية أنها معيبة أخلاقياً، وأنها حتى وإن كانت متفقة مع المنطلقات الأخلاقية التى ينظرون منها إلى الأشياء - لا تصلح فى الواقع لإقناع أحد بقداسة أحد ممن كُتبت عنهم .

فيعقوب هذا - وهو بطل قومى جليل الشأن فى سلسلة التلفيقات - يطالعنا من أسطر هذه الحكاية وما قبلها من سرد للكيفية التى سرق بها بكورية أخيه، كشخصية ميكافيللية، مستهينة بكل القيم، لا تتورع عن شئ وما علينا إلا أن نتوقف قليلاً عند علامات الطريق هذه فى الحكاية : «قال لأبيه أنا عيسو بكرك» ، «قال : إن الرب إلهك قد يسر لى» - وكان المتوقع أن يخشى «الرب إله أبيه»، خاصة أنه يكذب،

لكن العجيب كل العجب أن الرب إله أبيه كان مضموناً لأنه فى خدمة يعقوب، «فقدم له فأكل وأحضر له خمراً فشرب» . إلا أن اللافت للنظر حقاً فى الحكاية المفتراة على الله - غير مستواها الأخلاقى الدنئ فى كتاب يدعى أنه سماوى .. هو (أتوماتيكية البركة)،

ومن الواضح أن البركة استخلصت، بهذا التلفيق تمهيداً لما هو آت من تحول يعقوب إلى إسرائيل. لكن العقل لا يمكن إلا أن يعجب ولو قليلاً، للطريقة الطيعة التى ينساق بها «الرب» لذلك المخطط؛ فنتيجة للخديعة، يبارك إسحاق إبنه الغشاش يعقوب ظناً منه أنه ابنه عيسو، وبتلك البركة يلزم «الرب إلزاماً لا مهرب منه بأن يغدق على من باركه «من ندى السماء ودسم الأرض وكثرة الحنطة والخمر، وأن يجعل قبائل الأرض تسجد له»»، إلى آخر تلك البركة الجامعة الشاملة التى تجسدت فيها تطلعات الكهنة، وبطبيعة الحال، وبمنطق الحكاية، ولا تنصب تلك البركة على عيسو؛

فقد مهد الكهنة لذلك بحكاية أن السيدة رفقة عندما حملت : «مضت لتسأل الرب، فقال لها الرب : فى بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير»؛ بتنمية خط الحديث فى الحكاية عن طريق الطعام والخمر وغش الرجل الضرير أوصل كاتبو الحكاية الحديث إلى تحقيق ذلك إلهياً من خلال مباركة إسحاق - خطأ - ليعقوب.

وعقلاً ومنطقاً وديناً وأخلاقاً، لم يكن ذلك ليستقيم لم لم تكن البركة أو اللعنة التى تخرج من فم شيخ العشيرة - ولو خطأ - تصبح ملزمة بطريقة أتوماتيكية لرب العشيرة، ويتضح ذلك المعنى بشكل صارخ من الحوار المأساوى الذى يدور فيما بين عيسو وإسحاق، بالأصحاح (٢٧) من التكوين، الأعداد (٣٠ - ٤٠) .

وعيسو نجده على حق فى عتبه وقوله : «أما بقيت لى بركة»، وتساؤله: «ألك بركة واحدة فقط يا أبى ؟» .. فذلك ما يقوله ويتساءل عنه العقل، دع

عنك الأخلاق والعدل، فإسحاق يعترف بعد أن «يرتعد ارتعاداً عظيماً» بأن ابنه يعقوب غشه وخدعه فسرق بركة أخيه: «أخوك جاء بمكرٍ فأخذ بركتك»، والتصور أن الأخلاق والعدل كانا حريين بأن يجعلا إسحاق ينقم على ذلك الابن الغشاش المخادع فيسترد بركته ويحرمه منها، أو على الأقل يبارك الابن الآخر أيضاً، فلا يروح ضحية للخداع والظلم، ولا ينتصر الباطل على الحق، لكنه يقول لذلك الابن : «قبل أن تجئ باركته . نعم ويكن مباركاً». أى: لقد خدعنى نعم، لكنى باركته وانتهى الأمر، سيظل مباركاً.

ثم يقول لعيسو : «فماذا أصنع إليك يا ابنى ؟!» . وعندما يبكى الابن المظلوم الذى كان ينوى أن يباركه أصلاً ويتوسل إليه قائلاً : «باركنى أنا أيضاً يا أبى» - يقول له إسحاق : «هوذا»؛ أى هذا هو الذى حدث، وبعاميتنا المصرية «هو كده إن أعجبك وإن لم يعجبك فاشرب من البحر» ، ولا راد لما حدث، بل ويعلمه أن نتيجة ذلك الذى حدث بـ «مكر» يعقوب ستتمثل فى أن عيسو سيكون : «بلا دسم، الأرض مسكنه، وبسيفه يعيش، ولأخيه يستعبد». و (دسم الأرض) هنا هو خيرات أرض كنعان مثار الحكاية، وهى الأرض التى وصفها العهد القديم باستمرار بأنها «تفيض باللبن والعسل».

أما «إنى جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته» .. و «العهد القديم» لا يقول لنا إنه كان ليعقوب فى تلك اللحظة أخوة غير عيسو «عبيداً»، و «لأخيك تستبعد» ؛ تجسيداً لحلم من كتبوا «العهد القديم» باستعباد كل الشعوب والانفراد بكل أرض .

فالمسألة فيما يتعلق بحكاية «بركة يعقوب» مسألة سياسية وقضية مآرب إقليمية، وتلفيق للأصول واختلاق لمسألة إلاهية رهيبة تعطى تلك المآرب صورة وأبعاداً لا شك أنها بدت للكهنة وهم يختلقون الحكايات فى عصور لاحقة كافية لطمس العقل وفرض مصداقية مآربهم على التاريخ ذاته.

وإن أردنا أن نلم بالبعد والمرمى السياسى لحكاية «بركة يعقوب»، وسرقته لحق الولد من أخيه عيسو (الذى يقول العهد القديم : إن الأدوميين انحدروا من صلبه)؛ فإنه يتعين علينا أن نذهب (عوبديا) الحبر المتنبئ الذى عاش فى مطلع القرن الخامس الميلادى، بعد قرون من يعقوب وعيسو !!

ففى زمن ذلك الحبر (عوبديا) كان قوم يهوذا يعانون من متاعب متواصلة من الآدوميين (نسل عيسو)؛ الذين كان ضغط القبائل العربية قد أخرجهم من مواطنهم جنوب حدود أرض كنعان؛ فاحتلوا معظم الجزء الجنوبى من فلسطين حتى موضع الشمال من حبرون (الخليل).

يروى ذلك التاريخ الحبر ملاخى بالطريقة المأسوية الناقمة حتى على «الرب» : فقد قال الرب لقوم ملاخى «أحببتكم» فقالوا للرب : «بم أحببتنا»؟! .. أى : أين هو ذلك الحب الذى تتحدث عنه ؟ فقال الرب مدافعاً عن نفسه طالباً الرضا : «أليس عيسو أخاً ليعقوب، وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو، وجعلت جباله خراباً وميراثه لذئاب البرية» ؟ ..

ويفسر لنا الحبر ملاخى سبب ذلك الغضب من جانب قومه على الرب ومؤاخذتهم له ودفاعه عن نفسه بتذكيره إياهم أنه : «أحب يعقوب وأبغض

عيسو مع أن عيسو أخ ليعقوب»؛ فيقول : «لأن أدوم قال قد هدمنا فنعود ونبنى الخرب» ؛ أى أن الأدوميين وقد لحقهم الخراب بضياع وطنهم وأرادوا أن يعوضوا ماضاع باحتلال جنوب فلسطين، فكان ذلك الشحان بين قومى ملاخى والرب.

يؤكد ملاخى أن الرب، رب الجنود (إله العشيرة المقاتلة) قال : «هم يبنون وأنا أهدم، ويدعونهم تخوم الشر والشعب الذى غضب عليه الرب إلى الأبد» أى : دعوهم لى ولا تخافوا. دعوهم يبنون فى جنوب فلسطين وأنا أهدم كل ما يبنون ، وأجعلهم سوأة فى عيون الناس، فيدعونهم موطن الشر والشعب الذى غضب عليه الرب إلى الأبد».

ويقول ملاخى : إن الرب قال بعد أن طمأن شعبه : فترى أعينكم، وتقولون ليتعظم الرب من عند تخم إسرائيل» ، أى وسترون ما أفعله لكم بهم فتعظموننى لأنى أحمى تخم إسرائيل ، أى حدودهم (كما يقول سفر ملاخى ـ الأصحاح الأول) .. وما دام الله هو الذى يحمى تخوم إسرائيل فلا خوف عليها على الإطلاق .. هذا زعمهم، وذاك وهمهم .. فالقضية إذاً صراع على أرض فلسطين من تلك الأزمنة السحيقة .. صراع شهوة ابتلاع الأرض الدسمة كما وصفوها !!

شعوب الأرض عبيد لإسرائيل ونسله .. وسوف ترى الدمار بيد إسرائيل :

* والتوراة تؤكد أن هذه العلاقة الحميمة بين رب إسرائيل وشعبه ستظل تصب وابلاً على رؤوس شعوب كثيرة، وكما يقول سفر عوبديا

العجيب؛ الذى لم يدخل العهد القديم إلا بإصحاح واحد مسكين لم يلد غيره، وكله يدور حول عيسو وشعب أدوم. و (عوبديا) كلمة عبرية تعنى (عبد يهوده)،

وقد ذكر العهد القديم أشخاصاً كثيرين بهذا الاسم يشير هذا السفر إلى تحالف الأدوميين مع أعداء إسرائيل .. وفى النهاية البشرى بخراب الجميع ممن يعادون إسرائيل، وأن بيت يعقوب سيرث كل شئ ويعقوب برئ منهم .. يقول عوبديا : «فإنه قريب من يوم الرب على كل الأمم، لأنه كما شربتم يا شعب أدوم على جبل قدسى يشرب جميع الأمم دائماً يشربون ويجوعون ويكونون كأنهم لم يكونوا (يبادون). وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدسا، ويرث بيت يعقوب مورثيهم».

وهذا يؤكد ما يعتقده اليهود من أن شعوب الأرض عبيد لهم، وقد أكدت ذلك مراراً نصوص التوراة المحرفة والتلمود (وهو التعاليم الشفرية) وتدعى المنشا ونسبوها إلى موسى ـ عليه السلام ـ كذباً وبهتاناً .. ومما افتروه : «وخلق الله الأجنبى (الأممى غير اليهودى) على هيئة إنسان؛ ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم» .

وفى التلمود :

«الأجانب (أى غير اليهود) كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب، والكلب أفضل من الأجنبى؛ لأنه مصرح لليهود أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحماً بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه» .

وجاء فى التلمود أيضاً :

«ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، وإن لليهودى الحق أن يغش الكفار (وهم جميع الخلق غير اليهود)، ومحظور عليه أن يحيى الكافر بالسلام ما لم يخش ضرره أو أعوانه، والنفاق جائز فى هذه الحالة، ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذ خاف اليهودىُّ من أذاه».

* ولست أدرى كيف يطيق العالم وجود اليهود بل وتحكمهم فيه، ونصوص عقيدتهم المفتراة على الله ـ والتى يصرون عليها ـ تقول بأن جميع الأمم ستشرب ما شرب الأدوميون .. أى الإبادة والدمار .. وسيكون بيت إسرائيل ناراً عليها مثلما كان ناراً على أدوم، شعب عيسو المسكين الذى تشبه مصيبته وما حاق به من ظلم إسرائيل ما يعانى منه دائماً شعب كنعان، وسيشعل بيت يعقوب كل تلك الأمم ويأكلونها، ولن يبقى منها أحد.

لهذا كله نجد نصوص التوراة المحرفة والتلمود الذى كتبه أحبار اليهود تحث اليهودى على خداع غير اليهودى، وسرقته وأخذ أمواله، ونشر الفساد بين الأمم، حتى يسهل التحكم فيهم، ولهذا كله نجد أن تجارة الخمر والمخدرات والجنس هى كلها بيد اليهود،

كما نجد أن أصول الاقتصاد والبنوك كلها فى يد اليهود، ويتحكمون بواسطتها بالربا فى مقدرات العالم حيث أصبحت جميع أمم الأرض مديونة، حتى الولايات المتحدة الأمريكية أعلى دول الأرض اليوم قاطبة مديونية البنوك بتريليونى دولار (التريليون : مليون مليون) .

وأصبحت دول العالم الثالث كلها رهينة للديون الرهيبة التى اقترضتها من البنوك الدولية والعالمية التى يسيطر عليها اليهود سيطرة تامة .

الافتراء على النبى لوط عليه الصلاة والسلام :

بعد أن هلك قوم لوط فى سدوم وعمورة خرج لوط إلى البرية، ولم يكن معه غير ابنتية وسكن الجبل معهما فضاقت الفتاتان بحياة الوحدة والعزوبة فسقتا أباهما خمراً ثم نامت معه الكبرى وفى الليلة التالية نامت الصغرى فأنجبتا من أبيهما نسلاً .. وإليك نص ما ذكرته التوراة المحرفة بسفر (التكوين ـ الأصحاح التاسع عشر ـ ٣٠ ـ ٣٨) :

«وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه قالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها.

ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى، ونسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى واضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى واضطجعت معه لم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما فحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه ابن عمى وهو أبو بنى عمران إلى اليوم » !!

والله إنه لكلام لم يضعه إلا دجال مفترٍ معتدٍ أثيم عتل، بعد ذلك زنيم، لئيم، ما فيه عرق كريم .. إن المسيح الدجال إبليس بشرى له بصمة الشر .. إلا لعنة الله على معتقد بهذا إلى أبد الآبدين،

لم يسلم أنبياء الله من الافتراءات : اتهموا إبراهيم بأنه تزوج أخته من أبيه سارة، واتهموا إسحاق وإبراهيم بالخيانة، واتهموا يعقوب بالمكر والخداع وسرقة بركة أخيه .. واتهموا لوطاً عليه السلام بالزنا مع ابنتيه، واتهموا مريم عليها السلام بالزنا، وقتلوا زكريا عليه السلام، وقتلوا يحيى. وقدموا رأسه مهراً لبغى .

فالأنبياء عند اليهود لصوص وكذابون زناة مرتكبوا الفواحش مع ذويهم شاربو الخمر مستحلو كل كبيرة من الذنوب والمعاصى .

فإذا كانت هذه صفات الأنبياء من لدن نوح إلى عيسى كما هو مدون فى التوراة المزورة والتلمود فإنه يحق لليهود أن يفعلوا بالتالى جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن ينشروا الزنا واللواط ومقارنة الفاحشة مع الأطفال والأخوات والأمهات .. ولا يخشون شيئا فهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار من دون العالمين.

* ثم نصوص التوراة المحرفة تقول إن راؤبين الابن البكر ليعقوب يزنى بزوجة أبيه . جاء فى سفر التكوين (الأصحاح ٢٢ ـ ٣٥) أن راؤبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وأم إخوته ، وسمع يعقوب (إسرائيل) بذلك ولم ينزعج بل بارك راؤبين .

يهوذا أسد إسرائيل وأحد الأسباط يزنى بزوجة ابنه :

يهوذا هو أحد الأسباط وأشجع أبناء يعقوب، والأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام (ويعقوب يدعى أيضاً إسرائيل)، وهم أنبياء أيضاً. وقد جاء فى سفر التكوين من التوراة المحرفة (الأصحاح ٣٨ الأعداد: ١ ـ ٢٦) قصة زنا يهوذا بزوجة إبنه، كما يلى : «وأخذ يهوذا زوجة لعير (ابنه الأكبر) اسمها ثامار.

وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب، فأماته الرب فقال يهوذا (لابنه الثانى) أونان : ادخل على امرأة أخيك وتزوج، وأقم نسلا لأخيك (أى أن النسل سيدعى لعير) فغضب أونان وسفح ماءه على الأرض فكان بذلك أول من مارس العزل، فعلم أونان أن النسل لا يكون إذ دخل على امرأة أخيه إن أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلاً لأخيه، فقبح فى عينى الرب ما فعله (غريب أمر هذا الرب الذى يغضب من الحق والخير)، فأماته أيضاً، فقال يهوذا لثامار : كنته اقعدى أرملة فى بيت أبيك حتى يكبر شيله ابنى.

وهكذا قعدت ثامار شيلة إذ لم يكن للمرأة من حق فى نفسها بل يرثها إخوته واحداً بعد الآخر، وتُحبس على الصغير حتى يكبر فيتزوجها إن شاء أو تفتدى نفسها منه، فلما كبر شيلة لم يتزوجها إياه يهوذا. وخلعت (ثامار) عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلفتت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنه؛ لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تُعط له زوجة، فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على

الطريق وقال : هاتى أدخل عليك؛ لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت : وماذا تعطينى لكى تدخل على، فقال : إنى أرسل جدى معزى من الغنم، فقالت : تعطينى رهناً حتى ترسله، فقال (يهوذا) :ما الرهن الذى أعطيتك ؟ فقالت : خاتما وعصابتك وعصاك التى فى يدك ، فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها». «ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا،

وقيل له : قد زنت ثامار وها هى حبلى أيضاً من الزنا، فقال يهوذا : أخرجوها فتُحرق. أما هى فلما أُخرجت وأُرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه أنا حبلى ؟ وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه، فحققها يهوذا قال : هى أبر منى لأنى لم أعطيها لشيلة ابنى». نعم لم يخجل يهوذا من فعلته بل بارك ثامار وزوجها لابنه الثالث شيلة» !!

والله إنها لتوراة المسيح الدجال وإلا فأين التوراة التى كانت هدى ونور عندما أنزلها الله تعالى، فأصبحت رجساً وظلمات وأغلال وشهوات وقصص جنس ورذيلة !!

ويبدوا واضحاً من تحرير الأحبار للعهد القديم أم مفهوم الخصوصية والإفراد العرقى تسلط على الأذهان المباركة، وحرك أيدى الأحبار وهم يكتبون هذه الخرافات، فهم لا يكفون على طول العهد القديم وعرضه عن تحذير قومهم، وعلى لسان الإله بألسنتهم من الاختلاط بالأقوام أو أمم الأرض الأخرى.

ولعل المثال الصارخ على ذلك ما يؤكده حزقيال (الكاهن ابن بوزى)

من أن الرب قال له إنه : «غاضب على المرأة أهوليبة» ؟ التى يبدو أنها كانت سيدة معاشقة؛ لأنها «زنت بأرض مصر وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير، ومنيهم كمنى الخيل» (حزقيال الأصحاح ٢٣ ، العددان ١٩ و ٢٠) فالمقضى به إلهياً أن قوم ذلك الكاهن لا يختلطون بالتزاوج أو العشق والمضاجعة (الزنا) مع الأمم !!

سفر حزقيال أوضح أسفار العهد فى هذه التسمية التى تولدت عنها لفظة الأمميين ؛ أى الجوييم؛ لأن المخلوقات التى تتألف منها تلك الأمم فى حقيقتها بهائم وليست بشراً، ومن المحرم ديناً الاتصال الجنسى بين الانسان والحيوان. مع ملاحظة أن غضبة الإله الاسرائيلى على (أهوليبة) كانت غضبة رهيبة، فالمخلوق لكى يكون إنساناً بشرياً حقاً لا أممياً ينبغى أن يكون يهودياً، لكى يكون كذلك لابد من مولده من رحم يهودى مبارك من أم يهودية يقيناً،

وهو الشرط الرئيسى الوحيد والمعتبر حتى الأن لإثبات الهوية اليهودية والحصول على جنسية الدولة اليهودية، والأممى - وهو كل من هو غير يهودى ـ ممن لم يسعدهم الحظ بأن يولدوا من رحم يهودى ما هو إلا حيوان أقل متنكر فى هيئة إنسان، وهذا هو السبب فى أن رب إسرائيل اشتاط غضباً على تلك المرأة اليهودية التى تركت رحمها يتدنس بمنى المصريين.

من العجيب أن مفسرى الكتاب المقدس كانوا أكثر أدباً من الله عز وجل (تعالى الله) وأكثر إحتراماً وفهماً لمراده، فقالوا : إن المراد هنا هو

اتهام الشعب اليهودى بشقيه (إسرائيل ويهوذا) بالزنا، بمعنى الفكر السياسى الخاطئ. وهو اتكال شعبه فى فرعون مصر، وشبه الله إسرائيل ويهوذا بأختين لأم واحدة، عاشا فى حياة الزنا منذ صباهما، الكبرى تسمى (أهولة) والصغرى (أهوليبة)، والأولى تشير إلى السامرة (عاصمة إسرائيل)، والثانية إلى أورشليم (عاصمة يهوذا)، والأولى هى الكبرى؛ لأنها تضم عشرة أسباط، والأخرى هى الصغرى لأنها تضم سبطين ، وارتبط الاسمان بكلمة (أوهل) العبرية (Ohel) والتى تعنى الخيمة، مذكراً شعبه بهذا اللفظ بلزوم الخيمة التى يحل بمجده فيها ليسكن فى داخلها معهم[1].

* وفى التوراة يعقوب عليه السلام يسرق ويقتل غيلة ويكذب ويحمل معه الأوثان :

لقد وصف اليهود فى توراتهم المحرفة يعقوب عليه السلام بكل نقيضة .. وصفوه بالمكر والكذب والخداع عند أخذ بركة أخيه عيسو من أبيه الأعمى إسحاق .. ولكن يعقوب الذى هو إسرائيل، والذى بنسبون إليه أنفسهم وسموا به دولتهم المزعومة ـ هو فى نظرهم أفاق خطير !!

فحينما أخذ البركة والعهد من أبيه ذهب يعقوب الى خاله لابان فلما أبصر راحيل بنت لابان وأعجبته وهو لا يعرفها سقى لها غنما وقبلها (سفر التكوين / الأصحاح ٢٨ ـ ٣٠).

---

(١) ستلاحظ أن جميع الأنبياء فى التوراة ، يكاد الأمر بلا استثناء ، يشربون الخمر ، تماماً كما تفعل السينما المصرية فى أفلامها ، فهى تقدم الإنسان المصرى على أنه يعاقر الخمر ليلاً ونهاراً ، وأن البيت المصرى لا يخلو منها ، مع أن الحقيقة الأصيلة غير هذا التزييف والكذب والتزوير .

واشترط عليه خاله أن يخدمه سبع سنين حتى يزوجه راحيل الصغرى فلما قضى يعقوب المدة أدخل عليه لابان ابنته الكبرى ليئة وخدع ، فلما قال يعقوب لخاله : لماذا خدعتنى ؟ قال لابان : لا يفعل هكذا فى مكاننا : أن تُعطى الصغيرة قبل البكر، أكمل أسبوع هذه (أى الكبرى ليئة) فنعطيك تلك (أى راحيل) أيضاً بالخدمة التى تخدمنى سبع سنين أخر، ففعل يعقوب هكذا وجمع بين الأختين .

وكما خدعه خاله قام يعقوب بخداع لابان وسرقة أغنامه ومواشيه هرب مع زوجتيه ابنتى لابان ولكن رب إسرائيل دافع عنه وأرعب لابان، وكانت راحيل قد جلبت من بلدها وثناً تعبده، ولم يمانع فى ذلك يعقوب ولكنه عندما قدم القرابين لرب إسرائيل وأقام مذبحاً فى بيت إيل عزل الآلهة الأخرى التى كانت معه.

وقام يعقوب وبنوه بقتل شكيم؛ لأنه أحب أبنة يعقوب وأراد أن يتزوجها، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا أباه حمور، وقتلوا أهل القرية كلهم بعد أن خدعوهم وقالوا لهم نزوجكم ابنتنا بشرط أن تختتنوا، فلما اختتنوا وهم كبار كانوا جميعاً متألمين متوجعين فهجم عليهم يعقوب وبنوه وخدمه فقتلوهم جميعاً، وأخذوا أطفالم وبناتهم عبيداً، وسلبوا جميع أموالهم وبقرهم ومواشيهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل. (سفر التكوين / الأصحاح ٣٤ / ١ ـ ٣٠).

وقد مر معنا كذبهم وافترائهم على الله وعلى يعقوب، وأن يعقوب تصارع مع الله طوال الليل حتى طلع الفجر، ولم يقدر الرب أن يصرع يعقوب لذلك باركه لأنه صارع الرب ولم يقدر الرب عليه وأعطاه عهداً أبدياً له ولنسله .

زوجة موسى تخدع الرب :

عندما أرسل الله موسى إلى فرعون خاف موسى ورفض أن يذهب إلى فرعون، فغضب الرب وأراد أن ينتقم من موسى بقتل ابنه البكر وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه (أى ابن موسى) وطلب أن يقتله فأخذت صفورة (امرأة موسى) صوَّانة وقطعت غرلة لبنها ومست رجليه . أى رجلى الرب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقالت (للرب) : إنك عريس دم لى فانفك (الرب) عنه حينئذ قالت : «عريس دم من أجل الختان» . (سفر الخروج / الأصحاح الرابع ٢٢ ـ ٢٦).

موسى يتهدد الرب ويخاصمه :

«فرجع موسى إلى الرب قال : يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟ (أى بنى إسرائيل) لماذا أرسلتنى فإنه منذ دخلت فرعون لأتكلم باسمك؛ أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك» (سفر الخروج ٥ / ٢٢ ـ ٢٣).

كم آذوا موسى فبرأة الله مما قالوا ، وكم افتروا على الأنبياء وكم رموهم بالعظائم ، وكم قتلوا وكم سفكوا دماء الأنبياء ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾ [البقرة]

التوراة المحرفة تتهم داود بالغش والكذب والزنا :

في سفر صموئيل الثاني رواية عن داود الذي زنى بامرأة جندي عنده اسمها (بتشبع بنت اليعام) بعدما رآها تستحم وهي عارية !! «وكان في وقت المساء أن داود قام وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت امرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه، واضجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود أنها حبلى». (سفر صموئيل الثاني / الأصحاح ١١ : ٢ - ٥).

وهكذا زنى داود بالمرأة، ثم حاول أن يخدع رجلها وطلب منه أن يذهب إلى زوجته حتى لا يبدو أنها حملت سفاحاً ، فأبى الرجل أن يذهب لزوجته ؛ لأنه مشغول بالجهاد في سبيل الله، فما كان من داود إلا أن أرسل قائد الجيش مع أوريا نفسه خطاباً يحتال فيه على قتله حتى يأخذ امرأته . «فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابناً» (١).(سفر صموئيل الثاني / الأصحاح ١١ : ٢٦ - ٢٧).

والله إنها لنفسية الدجال تقطر حقداً وسواداً على أنبياء الله !!

---

(١) حسب نص التوراة أو بقايا الوحي الإلهي بها وجب أن يقتل داود حداً هو وزوجته أوريا، ففي سفر التثنية : «إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة يقتل الاثنان ، الرجل المضطجع مع المرأة ، والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل» ولكن المسيخ الدجال يريد أن يقل إن أنبياء الله مارسوا الرذيلة ولم يطيعوا الله ، فإذن نحن أولى بها ثم أولى بألا نطبق حد الله ؛ لأن الأنبياء أيضاً لم يطبقوه .

داود يتزوج امرأة متزوجة ويأخذها قسرا من زوجها :

وجاء فى سفر صموئيل الثانى (الأصحاح الثالث) أن الصراع قام بين داود وشاؤل من أجل الحصول على الملك، وأن داود قد خطب ابنة شاؤل ، فلما قام الصراع بينهما زوجها شاؤل إلى فليطيئيل بن لابش .

واستطاع داود أن يغرى كبير قواد شاؤل بالانضمام إليه وهو ابنير .. فلما رأى شاؤل ذلك علم أنه لا طاقة له بداود فأرسل يصالحه فأجاب داود بأنه لكى يقبل الصلح وعلى شاؤل أن يرسل ابنته ميكال التى كان قد خطبها من قبل والتى أصبحت متزوجة من فلطيئيل وهكذا أُخذت ميكال قسراً من زوجها فلطيئيل ـ وهو يمشى خلفها يبكى ـ لكى تُعطى لداود (التوراة / سفر صموئيل الثانى / ١٢ ـ ١٦).

ولكنى القرآن الكريم ـ الوثيقة الوحيدة الصحيحة فى الأرض عن الله عز وجل ـ قدم لنا صورة داود كما قال الله عز وجل : ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾

وفى سورة سبأ : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد ﴾

أما قيامه ثلث الليل صومه نصف اليوم فهو مما أثنى عليه النبى ﷺ وقال : «خير الصيام صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً».

فنحن ـ المسلمين ـ أولى بداود ممن أهانوه وافتروا على شخصه ما

هو منزه عنه !!

* أما سليمان المكرم عليه السلام فهو عبد شهوته، وليله ونهاره بين أحضان النساء !!

فالقرآن الكريم ينزهه ، ونراه يقر بنعم الله عليه ، منتهياً إلى سنة الابتلاء بالغنى والفقر :

﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل]

ونرى الله عز وجل يقول فيه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل]

أما أصحاح التوراة المزورة فلهم رأى آخر، فقد جاء فى سفر التكوين الملوك الأولى من التوراة المحرفة (الأصحاح ١١ / ١ ـ ٩) : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرات مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسائيل لا تدخلوا إليهم ولا يدخلوا إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبهم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه.

وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورت (وهى فينوس أو نجمة الصباح والمساء التى صنع لها البابليون

تماثيل وعبدوها آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين) وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه حينئذ بنى سليمان مرتفعة (معبداً) لمكوش (إله) رجس المؤابيين على الجبل الذى تجاه أورشليم، ولمولك (إله) رجس بنى عمون.

وهكذا فعل لجميع نسائه الغبيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل» !!

إذن فسليمان أيضاً وثنى .. أو هو مرتد يعبد الأصنام من أجل طاعة نسائه وإرضاء شهواته !!

* ولا غرو، فلما ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم سليمان من الأنبياء الكرام قالت اليهود عليهم لعنة الله : ما بال محمد يصف سليمان بالنبوة وما علمنا سليمان إلا ملكاً ساحراً استولى على الأمور بخوارق سحره، فكذبهم الله تعالى وأخبر أن السحر إنما كان قول الشياطين الذين أتبعهم اليهود .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ

عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة]

* ولا نعجب من كل ما سبق إذ رأينا أن الحلال حرام وأن الحرام هو الحلال فى عيون هؤلاء القوم وأفكارهم .

نكاح المحارم لدى اليهود :

* نقرأ فى التلمود : «من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة ، ومن رأى أنه يجامع أخته فمن نصيبه نور العقل ».

ويستمدون لذلك سنداً من التوراة المحرفة والوقائع التالية :

١ ـ إن إبراهيم تزوج أخته (سارة) من أبيه .

٢ ـ إن رآوبين زنى بزوجة أبيه بلهة .

٣ـ إن يهوذا زنى بروجة أبيه عيرثم أدنان وهى ثامار .

٤ ـ إن أمنون بن داود زنى بأخته بنصيحة الحكيم يوناداب ابن عمه.

جاء فى سفر صموئيل الثانى (الأصحاح الثالث عشر) ما يلى : «وجرى بعد ذلك أنه كان لابشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون ابن داود ، وأحضر أمونو للقسم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء وعسر فى عينى أمنون أن يفعل لها شيئاً [١]. وكان أمنون صاحب يوناداب ابن شخص أخى داود، كان يوناداب رجلاً حكيماً جداً[٢].

---

(١) باعتبار أنها ما زالت بكراً ، ولو كانت متزوجة لكان الأمر مختلفاً .

(٢) انتبه معه إلى وصفه بالحكمة ، ثم المبالغة بـ (جداً)، وما هو إلا داعية فاحشة وقواداً.

فقال له: لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح فقال له أمنون : إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخى. فقال يوناداب : اضطجع على سريرك تمارض، وإذا جاء أبوك ليراك، فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزاً، وتعمل الطعام لأرى فأكل من يدها فاضطجع أمنون وتمارض رجاء الملك ليراه فقال أمون للملك ادع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فاكل من يدها، فذهبت ثامار إلى بيت أخيها أمنون وهو مضطجع، وعملت كعكاً أمامه، وقال أمنون : أخرجوا كل إنسان عنى، فخرج كل إنسان عنه . ثم قال أمنون : ائتى بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك ، فأخذت ثامار الكعك، وقدمت له ليأكل فأمسكها، وقال لها : تعالى اضطجعى معى يا أختى. فقالت له : لا يا أخى لا تذلنى لأنه لا يفعل هكذا فى إسرائيل ولا تعمل هذه القباحة، أما أنا فأين أذهب بعارى ؟!

وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى إسرائيل ، والأن كلم الملك (داود أباك) لأنه لا يمنعنى منك !!

فلم يشأ أن يسمع لصوتها، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها. ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جداً حتى أن البغضة التى أبغضها أياها كانت أشد من المحبة التى أحب أياها، وقال لها أمنون : قومى انطلقى، فقالت له : لا سبب لهذا الشر. لطردك إياى هو أعظم من الآخر الذى علمته، فلم يشأ أن يسمع لها بل دعا غلامه وقال : اطرد هذه عنى خارجاً واقفل الباب وراءها» (سفر صموئيل الثانى ١٣ :١ ـ ١٦).

وغضبت أخته لطردها واشتكت أمنون بعد أن شرب الخمر .. والغريب أن داود غضب على أبشالوم لقتله أمنون، ثم رضى عنه بعد حين. واستطاع أبشالوم بعد فترة أن يستميل إليه قلوب رؤساء بنى إسرائيل،

وأعلن نفسه ملكاً ، وقامت الحرب الضروس بينه وبين أبيه ، واستطاع داود بالمكر والخداع أن يقضى على ابنه أبشالوم .

فالتوراة والتلمود يدعوان لكافة الرذائل الجنسية :(١)

* جاء فى التلمود :

- «اليهودى لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم» .

- لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير اليهوديات، ولا إثم عليهم بل هو الواجب.

- إن الزنا بغير اليهوديات واللواط بغير اليهود لا عقاب عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات.

- لليهودى أن يسلم نفسه للشهوات إذ لم يمكنه مقاومتها . فكل حر فيما يريد ويشتهى .

- ليس للمرأة اليهودية أن تبدى أى شكوى إذا زنى زوجها بأجنبية فى المسكن المقيم فيه زوجته؛ لأنه لم يزن إلا بحيوان لا كرامة له .

- اللواط بالزوجة جائز لليهودى؛ لأن الزوجة مثل قطعة لحم اشتراها من الجزار، ويمكنه أكلها مسلقة أو مشوية حسب رغبته .

* ومما جاء فى التلمود : «اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء».

---

(١) ما قبل الدمار - أ. محمد عيسى داود .

وصدق الله العظيم : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾

وجاء فى التلمود : «إن مخافة الحاخامات هى مخافة الله» .

وجاء فيه : «إن من يقرأ التوراة بدون المنشا والجمارا (التلمود) فليس له إله» .

- «إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله».

- وقد وقع الخلاف بين الله وعلماء اليهود فى أمر من الأمور، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر الرب إلى الاعتراف بخطئه !!

- يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض ؛ لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وقبل أن تحكم اليهود نهائياً على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق يهلك ثلثا العالم . وهذه هى الحرب العالمية الثالثة التى يعمل اليهود لإشعالها، وبعدها يعتقدون أن مسيحهم (الدجال) سيأتى وسيحكمون به العالم لأن عيسى ليس هو المسيح عندهم إنما هو ابن زنا.

* وتوارتهم تؤكد (أن ثلاثة من الأنبياء الكبار أبوهم ولد زنى، وهم : داود وسليمان وعيسى عليهم السلام، فجدهم الأعلى هو (فارص) هذا الذى ولدته (ثامار) عن طريق الزنا من يهوذا .

ويؤكد هذه الكارثة واضعو العهد الجديد .. الأناجيل، فهم برغم اطلاعهم على أسفار العهد القديم عالمون بالسقطات المزرية التى وردت فيه

بحق الرسل، واقفون على ما ذكرته التوراة فى حق يهوذا الذى أولد عن طريق الزنا زوجة ابنه (ثامار) ولدين هما : زارح وفارص. ابنا زنا حسب هذه الرواية.

ومع هذا يؤكد كتاب الأناجيل هذا المعنى دون وعى أو بوعى ، الله أعلم ، ففى سلسلة نسب المسيح عليه السلام يتأكد هذا المعنى بوضوح ؛ ففى إنجيل (متى) الأصحاح الأول، ببداياته : (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود، ابن إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار)، ثم يقول فى العدد (١٥) من نفس الأصحاح : «ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى منها يسوع المسيح» .. فمن رواية التوراة وإنجيل متى نجد أن كلا من داود وسليمان وعيسى (عليهم السلام من الله) جدهم هو فارص الذى حملت به أمة ثامار سفاحا من يهوذا بن يعقوب مقابل جدى معزى لم يعطه الزانى لمن زنا بها(١).

* يبقى اليهود مدة سبع سنين بعد الحرب العالمية القادمة يحرقون الأسلحة التى غنموها بعد النصر وبعد خراب بقية الأمم ، ويكون اليهود بذلك ملوك العالم .

* ويحطم الدجال معظم أرجاء العالم ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة والطور فى سيناء، ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام إمام المسلمين منهم فيصلى خلفه، ويكون بعد ذلك لليهود ملحمة عظيمة يبادون

---

(١) الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ـ د ..عبد العظيم المطعنى ـ ص٢١٢ ، ٢١٣ ، الطبعة الأولى .

فيها من وجه الأرض، قال عليه الصلاة والسلام : «تقاتلكم اليهود فتسطلون عليهم حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله» (رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر).

وفى رواية البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : «تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يُهودى ورائى فاقتله ».

وقال ﷺ : «لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقية وهم غربية. قال رواى الحديث : ولا أدرى أين الأردن يومئذ من الأرض»؛ لأن نهر الأردن كان يسمى نهر الشريعة (والحديث أخرجه البزار بسند حسن والطبرانى وابن منده من حديث نهيك بن صريم السكونى).

وهاهم اليهود قد احتلوا الضفة من نهر الأردن ونحن فى الضفة الشرقية منه .

وفى رواية لابن عباس : فعنذ ذلك ينزل أخى عيسى ابن مريم فيقتل الدجال فى باب لد (مطار تل أبيب)، ويدخل الناس جميعاً فى دين الله .

وفى رواية : أن عيسى عليه السلام يكسر الصليب ويقتل الدجال ويقتل الخنزير؛ فتهبط على الأرض بركات من السماء ويعم السلام على الأرض؛ أى عهد عيسى عليه السلام فقط وصاحبه (المهدى) يتحقق السلام العالمى.

دور اليهود فى العصر الحديث فى نشر الزنا واللواط والمخدرات والخمور :

قام اليهود بتنفيذ تعليمات التوراة المحرفة والتلمود لإفساد العالم بكافة الطرق، واستخدموا فى ذلك كل وسيلة يمكن أن تخطر بالبال، وحاربوا الأديان ونشروا الإلحاد، وتحدثوا عن ثورة الجنس والحرية الجنسية .. وتمكنوا من استلام وسائل الإعلام بأيديهم فأشاعوا الفاحشة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وارتبطت الجرائم بعضها بعنق بعض بحق البشرية .. وكلها تقرب اليهود من الوصول إلى أهدافهم التى ذُكرت فى التوراة المحرفة والتلمود ، اللذين ينصان على أن العالم كله لم يخلق إلا لليهود، وأن البشر جميعاً لا يصلحون سوى أن يكونون عبيداً لليهود.

وسيطر اليهود سيطرة تامة على الفكر الإنسانى فى العصر الحديث .. فالفكر الماركسى نتاجهم والفكر الرأسمالى الربوى من صنيع أيديهم .. وتجارة البغاء والجنس تدر لهم ملايين الملايين، وكذلك يسيطرون على تجارة الخمور والمخدرات.

ويلخص كل ذلك بروتوكولات شيوخ صهيون التى نشرت فى بداية القرن العشرين، والتى صدمت اليهود ، وأحرقوا جميع نسخها مراراً، وقد اعترف بعض اليهود ومنهم هنرى ألين فى جريدة (صوت المرأة) فى شيكاغو عام ١٩٤٥ بحقيقة هذه البروتوكولات قائلاً : «إن البروتوكولات وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم أمر حقيقى وإن زعماء

الصهيونية يكونون مجلس سانهدرين الأعلى الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم. وقد طردنى اليهود من صفوفهم لأنى أنكرت عليم خططهم الشريرة».

وتمكن اليهود بالفعل من السيطرة على أجهزة الإعلام وخاصة فى الولايات التحدة وأوروبا، وأقام مردوخ اليهودى الاسترالى إمبراُطورية صحيفة حيث اشترى معظم الصحف المشهورة بريطانيا .

والرئيس الحالى لهيئة الاذاعة البريطانية يهودى، وكل أجهزة الاعلام الحساسة فى معظم دول العالم إما بيد اليهود مباشرة أو بطريقة ملتوية. كما سيطر اليهود على الفكر الإنسانى فى العصر الحديث :

- فرويد فى علم النفس .

- ماركوس فى الا قتصاد والسياسة .

- دور كايم فى الاجتما ع .

وغيرهم أكثر ،،لتوجية هذة العلوم إلى ما يريدون !!

وعمل اليهود على نشر الفاحشة والسيطرة عليها والاستفادة منها .. وبواسطة النساء والذهب والخمر تمكنوا من السيطرة على معظم ساسة العالم وتهديدهم إن هم حاولوا الخروج عن مخططاتهم وسيطرتهم .

بلغ من وقاحة اليهود وسخريتهم بالمسيحيين أن تظاهر بعضهم بالدخول فى المسيحية وبلغ مرتبة رئيس القساوسة، فمثلاً أسقف باريس العام هو يهودى دائماً ، وكذلك روما.

ويؤلف قسيس من الولايات المتحدة أصله يهودى كتاباً سماه «المسيح شاذ جنسيا» وافترى فيه الملعون على المسيح عليه السلام البهتان وإتهمه بالشذوذ الجنسى، وألف قسيس آخر أيضاً سنة ١٩٧٠ من الولايات المتحدة كتاباً ادعى فيه أن المسيح خرافة وأنه لم يوجد أصلاً شخص يدعى يسوع المسيح، ثم قامت هوليوود بإخراج فيلم فى منتهى الوقاحة وأسمته «غراميات المسيح» ولم يحتج مسئول نصرانى واحد على إهانة المسيح .. وجاءت الاحتجاجات من بعض البلاد الإسلامية فقط.

وظهر كتاب أيضاً بعنوان : (التجربة الأخيرة للمسيح) ونشرته دار سمون وشوستر، جاء فيه اتهام المسيح عليه السلام بأنه زنا بمريم المجدلية «ص ٤٥٠» : «أمسك بها (أى مريم المجدلية) يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة، وامتقع لونهما واصطكت ركبتهما؛ فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدءا يتدحرجان على الأرض. طلعت الشمس ووقفت فوقهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب».

وتنص تعاليم الماسونية السرية على تقديس الجنس والإباحية الجنسية ونشرها بين الأمم كما نص ذلك كتاب الماسونية لارنولد .. ونشرت مجلة يهودية عام ١٩٨٢ أن أعظم واجب للماسونى هو تمجيد الجنس .

وقد عمل اليهود على انتشار الزنا فى العالم بصورة رهيبة بحيث يكون الزنا هو الشئ الطبيعى والعفة هى الأمر المستنكر، حتى إن مجلس الكنائس البريطانى أصدر تقريراً جاء فيه : «إن مجلس الكنائس البريطانى ضد الإستغلال الجنسى، ويبارك الصلة الجنسية فى الزواج، ولكنه يرفض رأى الإنجيل الداعى إلى العفة قبل الزواج أو الإلتزام به بعده».

نشرت ذلك مجلة (التايم) الأمريكية، فى عددها الصادر فى ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦م (ص٣٨)، ويدعو ذلك التقرير إلى التراخى فى إجراءات الإجهاض وإلى استخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات .

وأصبحت وسائل منع الحمل تدرس فى الجامعات، فوجدوا أن طلبة الثانوية هم الذين يقعون فى المشاكل، فنزلوا بتدريس الجنس ووسائل منع الحمل إلى الثانوية ثم إلى الإبتدائية، وقد صدرت دراسات متعددة عن مدى انتشار الزنا فى العالم بصورة عامة وفى الولايات المتحدة وأوروبا بصورة خاصة .. واتضح من تلك الدراسات أن المشكلة واسعة النطاق بشكل لا يتصور، وتتمثل المشاكل الناتجة عنها فيما يلى فى أوروبا والولايات المتحدة والعالم:

١ ـ نسبة ٧٥ بالمائة من الأزواج يخونون زوجاتهم ونسبة أقل قليلاً من الزوجات يخن أزواجهن فى أوروبا والولايات المتحدة (الشرق الأوسط ٢٩ / ٥ / ١٩٨٠).

٢ ـ نسبة ٩٠ بالمائة من غير المتزوجات يمارسن الزنا إما بطلاقة أو من حين لآخر (فى أوروبا والولايات المتحدة) .

٣ ـ عدد حالات الإجهاض الجنائى غير الطبى وصل عام ١٩٨٣ إلى ٥٠ مليون طفل فى العالم (التايم الأمريكية ٦ أغسطس ١٩٨٤)، منهم ٢٥ مليون طفل فيما يسمى العالم الثالث و ٢٥ مليون طفل فى بلاد الإتحاد الذى كان سوفيتياً والولايات المتحدة وأوروبا فى الولايات المتحدة أكثر من مليون حالة إجهاض سنويا برغم إنتشار وسائل منع الحمل .

٤ ـ الحمل لدى المراهقات أصبح مشكلة كبيرة فى الولايات المتحدة وأوروبا. ففى الولايات المتحدة أكثر من مليون فتاة صغيرة تحمل سنوياً من الحرام.

٥ ـ الأطفال بدون أباء (أى نتيجة الزنا أو الطلاق أو هروب الأباء من تحمل المسئولية) يبلغون ١٢,٥ مليون طفل فى الولايات المتحدة (تقرير لجنة الكونجرس برئاسة السيناتور جورج ميلر، ونشرت ملخصاً له صحيفة الشرق الأوسط فى ١٣/ ٩/ ١٩٨٣)

٦ ـ إنتشار الأمراض الجنسية فى العالم، وهى أكثر الأمراض المعدية أنتشاراً فى العالم اليوم، ويزداد كل عام عدد المصابين بهذه الأمراض وذلك منذ عقدين من الزمن، وتقدر هيئة الصحة العالمية عدد الذين يصابون بالسيلان بأكثر من ٢٥٠ مليون شخص سنوياً، وعدد الذين يصابون بالزهرى (السفيلس) يفوقون خمسين مليون شخصاً سنوياً، وتقول مصادر طبية : إن هناك أكثر من ٣٠٠ مليون حالة التهاب مجرى البول من غير السيلان (الكلاميديا وغيرها) وتتواجد سنوياً فى العالم .

وفى الولايات المتحدة فإن عدد المصابين بالكلاميديا يبلغون ستة ملايين حالة سنوياً، والمصابين بالسيلان ثلاثة ملايين، وفى عام ١٩٨٢م كان عدد المصابين بالهربس التناسلى قد بلغ عشرين مليوناً مع وجود مليون حالة جديدة من الهربس كل عام ونصف مليون حالة جديدة من الزهرى سنوياً .

وقد بلغ عدد المصابين بمرض الإيدز حتى نهاية عام ١٩٨٥ أكثر من ٢٠ ألفاً حظيت الولايات المتحدة بأكثر من سبعة عشر ألف حالة .

انتشار الشذوذ الجنسى :

لم يكتف اليهود بنشر الزنا على نطاق واسع فى العالم أجمع بل قاموا أيضاً بنشر الشذوذ الجنسى على نطاق واسع والدفاع عنه .

وقد قننت الدول الغربية تحت تأثير اليهود قوانين تبيح الشذوذ الجنسى ما دام يحدث دون إكراه .. وتكونت آلاف الجمعيات والنوادى التى ترعى شئون الشاذين جنسياً، وكما تقول دائرة المعرف البريطانية فإن الشاذين جنسياً خرجوا من دائرة السرية إلى دائرة العلنية وأصبح لهم نواد وبارات وحدائق وسواحل ومسابح خاصة حيث يلتقى الشاذ جنسياً بأمثاله من الشاذين، وتعرف دوائر الشرطة هذه الأماكن، ولكنها مأمورة بعدم الإزعاج ما داموا لم يسببوا أى فوضى أو اضطراب فى المجتمع .

وتقول الإحصائيات الحديثة أن عدد الشاذين فى الولايات المتحدة يتروح ما بين ١٨ و ٢٠ مليوناً، وهناك معابد وكنائس خاصة فى الولايات المتحدة تقوم بتزويج الرجال للرجال والنساء بالنساء فى حفلات خاصة .. وقد نشرت الصحافة أن السيناتور كيندى اجتمع بممثلى الشاذين جنسياً ، وتعهد لهم بأنه سيدافع عن حقوقهم ، وسينفذ تعهداته إذا ما انتخب رئيساً للجمهورية، ولكن الرجل خان عهدهم واليوم يأتى الرئيس كلينتون ليعيد كافة حقوقهم الشاذة، وإمتداد الأمر إلى إباحة الشذوذ بين رجال القوات المسلحة وهى بشرى بالسقوط لأمريكا !!

وقد خصصت بعض الجامعات فى الولايات المتحدة منحاً دراسية خاصة للشاذين جنسياً ، ومنها جامعة سير جورج وليامز .

يتجمع الشاذون جنسياً فى المدن الكبيرة مثل نيويورك ولوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وهى بؤر مرض الإيدز الأساسية فى العالم.

* وتعترف بعض الكنائس بالشذوذ الجنسى ، وقد ذكرت الديلى ميل والديلى ميرور ذلك عام ١٩٧٠م .

ونشرت مجلة التايم الأمريكية قصة ضابط صف يهودى علق لوحة ضخمة خلف مكتبه وكتب فيها : (أنا شاذ جنسياً) فما كان من إدارة الجيش الأمريكى إلا أن طردته، وبعدها قامت قيامة أجهزة الإعلام ضد الجيش المتعصب الرجعى .. واضطر الجيش لإعادة هذا الشاذ اليهودى، كما دعى هذا اليهودى لإلقاء محاضرات عن الشذوذ فى أكبر الجامعات الأمريكية، وأصبح لهم إدارة ترعى شؤنهم فى الجيش فى عهد كلينتون !!

ونتيجة انتشار الشذوذ الجنسى انتشرت أمراض جنسية أشد خطورة يصيب الزناة ، فبالإضافة إلى الأمراض الجنسية العديدة التى مما تصيب الزناة هناك مجموعة من الأمراض الجنسية التى تكاد تقتصر على الشاذين جنسياً منها :

١ ـ مرض الإيدز .

٢ ـ روم كابوسى ساركوما من غير الإيدز .

٣ ـ التهاب الكبد الفيروسى من نوع (ب) وعلاقته بسرطان الكبد .

٤ ـ سرطان الفم واللسان .

٥ ـ زيادة فى سرطان الشرج والمستقيم .

٦ ـ تنتشر الأمراض الجنسية الأخرى بحوالى عشرين ضعف ما هى عليه عند الزناة، ومثالها : الزهرى، والسيلان، والكلاميديا، والورم البلغمى الحبيبى الزهرى، والورم الحبيبى المغبنى، والقرحة الرخوة، والثآليل التناسلية، والمليساء المعدية، وفطريات وطفيليات الجهاز التناسلى والهضمى مثل : الجيارديا، والأميبا والكانديدا وقمل العانة والجرب التناسلى(١).

وطئ المحارم والأطفال :

ولم يكتف اليهود بنشر الزنا واللواط والخمور، والمخدرات، ولكنهم قاموا أيضاً بنشر نكاح المحارم . وأول من حاول نكاح المحارم فى العصر الحديث هو فرويد اليهودى ، حيث جاء بنظريات غلفها بالأساطير اليونانية، وخلاصتها: أن حب الطفل ليس إلا حباً جنسياً محضاً، وأن عملية الرضاعة ليست إلا عملية جنسية؛ لأن الغريزة الجنسية تتركز فى الطفولة فى الشفتين ثم تنزل بعد ذلك إلى الأعضاء التناسلية.

ولهذا يكره الابن أباه، وسمى ذلك الكره عقدة أوديب؛ لأنه ليس من اللائق أن يظهر كرهه لأبيه وحبه الجنسى لأمه، واستخدام فرويد أسطورة يونانية تقول : إن ملكاً فى اليونان جاءه الكاهن فأخبره أن زوجته ستلد ذكراً سيقوم بقتله ونكاح أمه، فلما ولد الطفل أمر بقتله، ولكن الشخص الذى أوكل إليه قتل الطفل رق له وتركه فى الغابة، وكبر الولد وصار شجاعاً وكون جيشاً وهجم على مملكة أبيه دون أن يدرى أنه أبوه ، فقتل أباه وتزوج أمه، وصدقت بذلك نبوءة الكاهن والعراف .. والأمر كله خرافة أوردها الأديب اليونانى سوفوكليس .

---

(١) من بحث للدكتور محمد على الباز ، نشر كمقالات ثم تحول إلى كتاب .

واستخدم فرويد أسطورة أخرى هى أن البنت تحب أباها جنسياً وتكره أمها، وسمى ذلك عقدة إليكترا.

وعندما يكبر الطفل يحب نفسه جنسياً، وسمى ذلك النرجسية نسبة إلى أسطورة يونانية تزعم أن (نارسيس) الذى كان آية فى الجمال عشق نفسه عندما رأى وجهه فى الماء[1] .

* وكل هذا الهراء والغثاء يدرس فى الجامعات، ومن بينها الجامعات فى العالم الإسلامى عرباً وعجمياً على أنه علم نفس .

ثم تطورت المسألة أكثر وقامت هوليود بإخراج عشرات الأفلام التى تنادى بنكاح الأمهات والأخوات .

وأخيراً نشرت التايم الأمريكية تحقيقاً واسعاً عن نكاح المحارم عام ١٩٨٠، واستضافت فيه مجموعة من علماء الجنس الأنثروبولجى وأغلبهم يهود.

وقد جاء فى ذلك التحقيق تصريحات الأنثروبولجى (يهودى كوهين) - نعم هذا هو اسمه بكل صراحة - كما يلى : «إن منع نكاح المحرمات من الأمهات والأخوات والبنات بل والأبناء وليس إلا من مخلفات الإنسان البدائى الذى احتاج لإجراء معاهدات واتفاقات تجارية خارج نطاق الأسرة فقام عند ذلك بمنع نكاح المحارم، وبما أن ذلك لم يعد له أى أهمية فإن هذا المنع يصبح أمراً قد عفى عليه الزمن».

---

(١) نفس المصدر السابق .

الفهرس

تابع الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس